

فتحى العشرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨

الاخراج الفنى : مراد نسيم

اهداء

هاني ونهى :

هذا كل ما أدخره لكما من رصيد ، وهذا
كل ما اتركه لكما من ميراث . . . الكلمة !

فتحي

مقدمة

الإنسان ٠٠ كلمة

لماذا هذا العنوان ، لهذا الكتاب ؟

لما كان هذا الكتاب ، يضم تصنيفين وأربعة أقسام ، حول الشخصيات والدراسات العربية والغربية ، برز الإنسان وبرزت الكلمة ٠٠ الإنسان - أو الكاتب - الذى يقول كلمة - أو كلمته - ليصبح الاثنان فى واحد أو ليصبح الإنسان كلمة ٠٠

أما عن الشخصيات العربية والغربية فهى نماذج معبرة ، من منطلق أنها علامات على الطريق ظهرت وتأكدت واثرت مع مطلع قرننا العشرين وعبر السنوات هذا القرن المشحون ٠٠ فبعد أن كان كل قرن يوصف بصفة واحدة ، مثل القرن السادس عشر أو عصر النهضة ، والقرن السابع عشر أو عصر الأدب والقرن الثامن عشر أو عصر العقل ، والقرن التاسع عشر أو عصر العلم ، أصبح من

الصعب أن يوصف القرن العشرين بصفة واحدة ، فهو عصر التكنولوجيا وعصر الفضاء وعصر الذرة وعصر الحروب الباردة وعصر حرب الكواكب وعصر البترول وعصر الأقمار الصناعية وعصر التلفزيون وعصر الكمبيوتر وعصر الدبلوماسية وعصر أطفال الأنابيب وهكذا ..

كما أنها شخصيات تمثل تواصل الأجيال وامتدادها وتمدها سواء بالفكر الواحد أو بتنوع الأفكار . فالفكر الانساني له احترامه وقدسيته دون تصارع أو صراعات مهما اختلفت الرؤى أو تناقضت الاتجاهات ، في الشرق أو في الغرب على حد سواء ..

وهو لم يكن اختيارا أو انحيازاً لهذه الشخصيات ولكنها الظروف والمناسبات هي التي جمعت بينهم ولت شملهم بين دفتي هذا الكتاب ..

ولا يعني هذا أنها الأفضل ، فكم كان القلم يتشوق ومايزال لتناول العديد من الشخصيات التي لا تقل أهمية بل ربما تزيد ..

وأما عن الدراسات العربية والغربية فهي تنصب على قضايا أدبية وفكرية مثارة أو كانت في حاجة الى أن تثار .. وهي قضايا حيوية وهامة ، ملحة وعاجلة ، تنتظر الحلول التي لا بد أن تجيء من المثقفين أنفسهم ، حتى تستقيم الأمور وتستقر الأوضاع ، وتتاح الفرصة كاملة للإنسان لكي يقول كلمته ، والكلمة لكي تلعب دورها الفعال في الناس وفي الحياة ..

فتحي العشري

شخصيات عربية

العقاد • • ابن أسوان العملاق

فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٦٤ توفى العقاد عن خمسة وسبعين عاما فى بيته العتيق بمصر الجديدة بالقاهرة ولكنه دفن فى اليوم التالى بمسقط رأسه أسوان متحديا بذلك الرقم ١٣ الذى لم يكن يتشائم منه على الإطلاق •• فقد كان مسكنه يحمل هذا الرقم وحبس احتياطيا فى سجن قرة ميدان لمدة تسعة أشهر ابتداء من ١٣ أكتوبر عام ١٩٣٠ •

• ولد العقاد فى ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ ، وانتقل الى القاهرة لأول مرة عام ١٩٠٤ ليعين موظفا ولكنه لم يستقر فى أية وظيفة وعاش طوال حياته من قلمه الذى ساهم فى تحريك ثورة الجماهير على المستعمرين عام ١٩١٩ •

بدأ حياته فى العاصمة مستأجرا لحجرة صغيرة بثلاثين قرشا فى الشهر •• وأول مقال كتبه نشر فى جريدة الوطن وأول حديث صبقى أجراه مع سعد زغلول ناظر المعارف فى عام ١٩٠٨ ونشر بالدستور •• وكان « العقاد » يوقع مقالاته فى بداية عمله الصحفى

في « الاخبار » القديمة التي كان يصدرها يوسف الخازن وتوفيق حبيب باسم (ع ٠ الأسوانى) ٠٠

كان « العقاد » منحازا الى حزب الاقلية والى سعد زغلول زعيمه ، وكان يدافع عن القضية المصرية فحارب حربا ضارية من أجل الدستور وارساء الحياة النيابية ٠٠ هاجم الملك فؤاد عندما حاول تعطيل الحياة النيابية ووقف على منبر البرلمان ليقول قولته الشهيرة ، « ان شعبنا قادر على سحق اكبر رأس يتعرض لحرياته » ومن أجل ذلك هوجم واضطهد حتى في بزقه وكان مصيره السجن ٠

انتخب « العقاد » مرتين عضوا فى مجلس النواب ، وعين مرتين عضوا فى مجلس الشيوخ ٠٠ وكان أدبيا ، موسوعيا أى كان موسوعة أدبية ٠٠ فعقله يستوعب علوم الذرة كما يستوعب الشعر ٠٠ كانت مكتبته الخاصة تضم ٤٠ ألف كتاب فى مختلف المعارف الانسانية العربية والأجنبية ٠٠ أما مؤلفاته فوصلت الى ٨٥ كتابا فى الآداب والفنون والعلوم الانسانية والاسلاميات ، وأشهرها وأبرزها سلسلة « العبقريات » ٠٠

وكان « العقاد طويل القامة عنيذا ومعتزا بنفسه وكرامته ٠٠ علم نفسه بنفسه فلم يعبأ بالشهادات بعد أن قطع دراسته الثانوية ورفض « الدكتوراه الفخرية » بعد ذلك لأنه لم يجد من هو أكفأ منه ليقرر أن يمنحها له ٠٠ وكان شديد القسوة على نفسه حتى أن « سعد زغلول » وصفه بأنه « جبار خجول » فكانت له مواقف عنيقة مع خصومه وأصدقائه على السواء مصندرها الحق والمبادئ ومصلحة الشعب ٠٠ وهكذا لم يعتمد فى شئ طريقه الا على نفسه وبقوة عزيمته وارادته الصلبة ٠٠ فحقق مكانة رفيعة بين أبناء وطنه وفى العالم العربى وفى أوساط كثيرة من العالم ٠٠ وحصل على جائزة الدولة التقديرية بعد حصول «عفيد الأدب العربى طه حسين» عليها مباشرة ٠٠ فكثيرا ما كان العملاقان يوضعان على نفس

المستوى من التقدير الا ان عناده وكبريائه كثيرا ما كانا يجعلانه
يجيء في التكريم بعد طه جسين لهدوئه ومرونته ٠٠

اما « ندوة العقاد » الشهيرة فكانت تعقد يوم الجمعة من كل
اسبوع في بيته حيث يجتمع تلاميذه ومريديه ، فتدور المناقشات ويرد
على الأسئلة والاستفسارات بسعة صدر وأحيانا بالنكت المظريفة
والذكريات الاليفة بين اكواب الليمون وقناجين القهوة ٠٠ ولم يكن
العقاد يغادر بيته الا ليحضر جلسات مجمع اللغة العربية الذي كان
عضوا فيه ٠٠ وجلسات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الذي
كان مقرا للجنة الشعر فيه ٠

قال العقاد عن نفسه : « اننى رجل مفرط فى التواضع ورجل
مفرط فى الرحمة واللين ٠٠ ورجل لا يعيش بين الكتب الا لأنه يياشئ
الحياة ٠٠ رجل لا يقلت لحظة واحدة فى ليله ونهاره من سلطان
القلب والعاطفة ٠٠ ورجل وسع شذقيه من الضحك ما يملأ مسرحا
من مسارح الفكاهة فى روايات شارلى شابلن جميعا . ٠

معارك العقاد

من أبرز معارك العقاد التى دارت على صفحات الجرائد
والمجلات تلك التى بدأها مع « مصطفى صادق الرافعى » ، فقد كان
العقاد والرافعى يتنازعا صداقة « سعد زغلول » وحبه وكان كل
منهما يسعى الى أن يكون كاتب الجذب فأخذ كل منهما ينقد سلوك
الأخر وكتاباته وكتبه ايضا ، نقد العقاد « اعجاز القرآن » ونقد
الرافعى « وحى الأربعين » ٠٠ ولكن الرافعى قبل أن يموت كتب
يقول « اما العقاد فانى اكبره واحترمه ٠٠ اكبره لأنه شديد الاعتداد

بنفسه قليل الانصاف لغيره ولعله اعلم الناس بمكانى فى الأدب ولكنه
ينعى على قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان » .

ثم هاجم العقاد « امين الرافعى » هجوما سياسيا ضاريا لأن
الرافعى كان ينتمى الى الحزب الوطنى ويريد أن يربط بينه وبين
حزب الوفد . . . وعندما تولى الرافعى كتب العقاد يرقيه : « رأيت
أميناً فى قوة جسده وأميناً فى قوة نفسه ورأيت كيف يعدد الأيمان
الجسوم النافية فهمى منه فى ملاء عزيز الحوذة منيع الجانب » .

ثم نقد العقاد احمد شوقي فى شعره وفى مسرحياته كما قال
عنه « استطاع أن يقم أسعه على الناس بالتهليل والتكبير والطبول
والزُمور فى مناسبة وغير مناسبة وبحق أو بغير حق . . ان المجد
عنده سلعة تقتنى ولديه الثمن فى الخزنة » وقال : « أن شعره بمعان
شائعة فى صياغة مقبولة ولعب لايؤخذ صاحبه على خطأ . . »

ثم هاجم العقاد « طه حسين » الذى هاجمه بدوره ولكنه كان
فى كل الأحوال هينا لينا ، لم يصل الى ما عرف من عنف طه أو عنف
العقاد فى الخصومة حتى أن العقاد دافع عن كتاب طه حسين
« الشعر الجاهلى » وبائع طه حسين العقاد أميرا للشعر وقال طه
حسين « لقد هاجمت العقاد فى غير موطن من مواطن الخصومة ،
خاصته فى السياسة وخاصته فى الأدب وخاصته فى السياسة
والأدب أيضا ، ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد فى
نفسى . وما أظن أن بين اقتراب العقاد ومعاصريه من يقدره
مثلا أقدره أنا وأكبره ، وليس يعينى أن يكون رأى العقاد فى كرايى
فيه . . والذين عاصروا خصوماتى للعقاد يذكرون من غير شك
أننى اثبتت على أدبه فى جريدة السياسة حيث كانت الخصومة بين
الوفد والدستوريين كما عنف ما تكون الخصومات وقد كانت الحرب
سجالا بينى وبينه ولم يمنعه ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم فى

مجلس النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على « حربا » .
 ثم هاجم العقاد « محمد حسين هيكل » و « لطفى السيد »
 و « مكرم عبيد » و « زكى مبارك » وأخيرا « توفيق الحكيم » الذى
 كتب يقول ردا على مقال للعقاد « وفى الحق لم أجد بالمقال الرقة التى
 كنت أنتظرها واستاء فى نفسى من الأستاذ العقاد بعض الأشياء
 وأنا الذى يعتقد دائما أنه يخفى وراء قناع الكبر والتكبر نفسا
 طيبة تتفجر اذا اطمأنت بأجمل عاطفة وأنبى احساس » .

شاعرية العقاد

كتب صلاح عبد الصبور يقول : اذا كان الشاعر من تعرفه .
 بشعره فالعقاد شاعر من شعراء العربية المتميزين ذلك لأن العامة
 يستطيع حين يقرأ شعر العقاد أن يميزه عن شعر سابقه ومعاصريه
 وأن يدرك أن لهذا القلم المعبر رؤيته الخاصة ولغته المتميزة
 وموضوعاته الأثيرة . . . وتلك ثلاث خصال هى من امارات
 الشاعرية » .

ومن اشعار العقاد هذه الأبيات :

يا يوم موعدا البعيد الا ترى
 شوقى اليك وما أشاق لغنم
 شوقى اليك يكاد يجذب لى غدا
 من وكره ويكاد يطفئ من فهمى
 اسرع بأجنحة السماء جميعها
 ان لم يطعك جناح هذى الانجم

ودع الشـموس تـسـير في داراتها
وتخطها قبل الأوان المـبـرم

العقـاد فـيـلسـوفـا

وقال الدكتور عثمان أمين - رحمه الله - عن فلسفة العقاد :
« العقاد رائد من رواد الوعي الانساني في الشرق العربي ،
وأثر العقاد في حياتنا الروحية أثر لا سبيل الى اغفاله أو التهوين
من قدره مهما تقول المتقولون ومامن شك عند المنصفين أن النهضة
الفكرية المصرية قد بلغت بجهده ويقظته مرحلة لم تكن لتبلغها بدونه
فهو في تاريخ أمتنا العربية « معلمة » ضافية شاملة لم ينقطع يوما
في حياته الزاخرة عن اعمال ذهنه تطلعا الى المعرفة وتأملأ في الكون
وتقصيا لاسرار النفس حتى ظفر بمقام « الأستاذية » بمفناها
الصحيح ٠٠ فكان في أحاديثه ومقالاته ومؤلفاته أستاذًا أصيلا ضليعا
واستطاع في حياة قلمه الياضة المتعددة الجوانب ان يؤدي في حب
واخلاص - المهمة الرئيسية لكليات الانسانيات في جامعات العصر
الحديث وأضحى نورا باهرا يشع على مجالات الأدب والصحافة
والسياسة والتاريخ والفن والدين ٠٠ »

العقـاد والفنـون التشكـيلية

وقال بدر الدين أبو غازي - رحمه الله - : « ليس من جيل
العقاد مفكر أو أديب مثله عكست كتاباته واهتماماته بالفنون
وأفصحت منذ البدء عن وجهة نظر بل عن يقين في ضرورة الفن

للمجتمع ، وعن مدلول الفن الجميل في نظره ، ومصاحبة العقاد في كتاباته تطلعنا على منهج متماسك في النظر الى الأعمال الفنية ويصدر عن خلفية فلسفية لمعنى الجمال عنده ٠٠ ويقدم أمثلة تطبيقية تشير الى ذوقه ومطالبه من العمل الفني ، وتجدد مدارس وأعمالا يؤثرها بحبه ٠٠

وبعد هذا كله كان العقاد مؤرخا وسياسيا واسلاميا كما كانت له مواقف كثيرة ومتنوعة ٠٠ لقد كان بحق عملاقا لا يتكرر في تاريخ مصر الزاخر بالرجال والمواقف ٠٠

ومن حق أسوان أن تفخر بالعقاد ابنا بارا وعلميا متميزا ، يكفيه عطاء لها أن ولد فيها ودفن فيها ٠٠ فماذا ردت له من جميل ؟ فالعقاد يستحق ولاشك الكثير ونحن ننتظر ولاشك أيضا الكثير ٠٠

طه حسين ٠٠ من جنوب الوادى

على بعد كيلو واحد من « مغاغة » مركز « المنيا » وفى قرية « الكيلو » بالتحديد ولد « طه حسين » الذى عاش حياة فقيرة أدت الى فقدانه بصره والانتقال الى القاهرة ليدرس دراسة عادية بالأزهر الشريف ٠٠ ولكن الطفل الذى تحدى ظروفه الاجتماعية والشخصية ٠٠ لا يكتفى بدراسات الأزهر فيلتحق بالجامعة المصرية ويتفوق في دراسته حتى يحصل على أول دكتوراه ٠٠ وبل ويخرج الى الحياة الثقافية والسياسية فيشارك بالمقالات والآراء الجديدة الجريئة ليتوج طموحه بالحصول على بعثة دراسية الى فرنسا فينهل من الثقافة الغربية والحضارة الأوروبية دون أن ينفصل عن ثقافته وحضارته ويعود ليتولى عمادة كلية الآداب التى تخرج فيها ثم مديرا للجامعة ثم وزير للمعارف ليطلق صيحته الشهيرة مطالبا بأن يصبح العلم كالماء والهواء حقا لكل مواطن ٠٠

وفى الذكرى السادسة لرحيل ابن الصعيد عميد الأدب العربى ، احتفلت كلية الآداب بجامعة القاهرة بهذه الذكرى وأقامت مهرجانا لمدة أسبوع بدأته ندوة علمية موسعة شارك فيها من أسبانيا « بدورماتينز » متحدثا عن « بيئة طه حسين الأدبية وجيل ١٨٩٨ » و « كارمن رويت » متحدثه عن « طه حسين وأيوخين نيودرويس » ومن إيطاليا تحدث « امبرتو ريتسيتانو » عن « طه حسين والاستعراب الإيطالى » ٠٠ ومن أمريكا تحدث « واستسن كاول » عن « منهاج طه حسين فى نقده لشعر المتنبى » ٠٠ ومن إنجلترا تحدث « سحمد مصطفى بدوى » عن « نظرة أخرى فى طه حسين الناقد الأدبى » ٠٠ ومن تونس تحدث « محمد عبد السلام المسندى » عن « الترجمة الذاتية

بين الاسقاط النفسى والبناء الانشائى فى كتاب الأيام « ٠٠ ومن الكويت تحدث « توفيق الفيل « عن « طه حسين رائدا للبحث البلاغى الحديث « ٠٠ ومن مصر تحدث « محمود فهمى حجازى « عن « الرؤية الثقافية عند طه حسين « وتحدثت « أنجيل بطرس « عن « الاحساس بالمكان فى الأيام « ٠٠ وتحدثت « أمال فريد « عن « اثر الثقافة الفرنسية على مؤلفات طه حسين « ٠٠ وتحدث « عز الدين اسماعيل « و « رجاء عيد « و « محمد عويس « عن « أعمال طه حسين « ٠٠

وبعد هذه الندوة التى قرر الدكتور « حسين نصار « ضم أبحاثها فى كتاب نصدره جامعة القاهرة ، اقيم بالمكتبة المركزية بالجامعة معرض لكتب طه حسين المختلفه والتى صدرت فى اللغات الأخرى .

كما افتتح بقصر المانسترلى بالمنيل تحت اشراف « عباس سهدى « تقيب النشكيلييين الأسبق معرض يضم اللوحات والتماثيل والأعمال الفنية التى اتخذت من طه حسين مادة وموضوعا لها ٠٠ وعرض فيلم « قاهر الظلام « فى عرض خاص شاهده المحتفلون بذكرى طه حسين السادسة .

وفى الليلة الختامية للمهرجان اقيم بالمسرح القومى حفل ضم أمسية شعرية وأخرى مسرحية ٠٠

وقد اشترك عدد من الشعراء بقصائدهم التى ألّفوها بأنفسهم وهى فى معظمها تتحدث عن طه حسين كظاهرة وحقيقة ٠٠ أما المسرحية فتحمل هذا الاسم « العمر قضية « وهى مسرحية تسجيلية كتبها الدكتور « سمير سرحان « والدكتور « محمد عنانى « وأخرجها « فهمى الخولى « وقام بالتمثيل هواة المسرح بجامعة القاهرة .

وقد اعتمد الكاتبان على « أيام » طه حسين بصفة خاصة في تصوير حياته ومواقفه كما اعتمدا على مؤلفاته الأخرى في تأكيد تأثيره على الحياة الثقافية في مصر وفي الوطن العربي ، ثم رجعا إلى التاريخ المعاصر ليجسدا معارك طه حسين الفكرية والسياسية .

وجاء العرض شريحة حية من حياة العميد وأدبه وفكره . . . وفي هذا الإطار التسجيلي الذي لا يخلو من رأى ووجهة نظر تناول المخرج النص تناولا ننيا رغم الإمكانيات الضعيفة في الديكورات والملابس والعناصر التمثيلية المحدودة . . . فاستطاع أن يشكل المكان الواحد بإيحاءات بسيطة ومتنوعة ، لينقلنا من مكان إلى آخر بسهولة ويسر . . . وكان أهم ما قدمه لنا في هذا العرض اكتشافه لعدد من المواهب الجامعية التي تستطيع إذا أرادت أن تحترف التمثيل أن تشق طريقها وسط الزحام حتى تصل إلى الصفوف المتقدمة . . . « نظيمة ماجد » التي أدت دورى الراوية ومى ، فكانت شعاعا من النور الفياض والحركة المتدفقة والتعبير البكر الصايق . . . و « منى إبراهيم » التي أدت دورى الرواية وسوزان ، فوازنت بدقة بالغة بين أسلوب المسرح التسجيلي في عرض الأحداث دون تدخل وأسلوب المسرح الدرامى فصورت شخصية زوج العميد بأحاسيس صادقة وعاطفة فياضة . . .

د . هيكـل ٠٠ وجمعيته الثقافية

ان تتكون جمعية ثقافية جديدة بعد ان توقفت ظاهرة تكوين الجمعيات وان تبدأ نشاطها بهذه البداية الطيبة وهى اقامة حفل أو احتفال ادبى نقابى رسمى على مستوى رفيع تخليداً للذكرى الرائد المفكر الصحفى الدكتور محمد حسين هيكل الذى تحمل الجمعية اسمه فى مناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على رحيله فى وقت تقلص فيه أو كاد نشاط الجمعيات الأخرى المكونة بالفعل يعد حدثاً كبيراً وجليلاً فى حياتنا الثقافية اليوم ٠٠

هذا الحدث الثقافى الكبير والجليل قادر ولاشك على تجديد التيار وتحريك المناخ وجلب نسمة أو نسيمات كفيلة بخلق جو من الحيوية واليقظة والنهضة المفتقدة منذ وقت طويل ٠٠ طويل ٠٠

فالى جانب احياء ذكرى الدكتور هيكل والعمل على احياء ذكرى عدد كبير من الرواد الأوائل تعد « الجمعية » برنامجاً حافلاً على مدار العام يتضمن ندوة أو محاضرة شهرية لمناقشة الانتاج الأدبى - رواية أو مسرحية أو ديوان أو مجموعة قصصية أو دراسة - والظواهر والقضايا الثقافية فضلاً عن المسابقة السنوية ذات الجوائز المادية والأدبية التى تتناول فى كل عام جانباً من جوانب الدكتور هيكل المتعددة والمتنوعة والسعى الجاد لنشر الأبحاث التى ترقى الى المستوى الجيد اللائق ، فى المجالات المتخصصة أو فى كتب تصدرها الجمعية على نفقتها الخاصة ٠٠ فقد رصدت « أسرة المفكر الراحل » مبلغاً سنوياً بالإضافة الى ريع كتبه للانفاق على أغراض الجمعية الثقافية .

ولاشك أن انتخاب مجلس إدارة للجمعية من الطاقات المبدعة
الرصينة والشابة يرأسه شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود ابن
الدكتور هيكل الروحي وتلميذه البار لمؤشر مبشر بعباء سخي وجهد
وفير وفكر واع من شأنه فتح آفاق جديدة نرنو اليها جميعا وتحقيق
اهداف سامية نتطلع اليها بشوق وحماس ..

ولعل الحجر الصغير الذى يحرك ولو جزء من المياه الراكدة
يصبح دافعا للملاحجار الصلدة الأخرى للمشاركة فى اذابة الجليد
وجريان الماء عذبا رقراقا .

وهذا ما حدث بالفعل فى اليوم الذى أعلنت فيه الجمعية
عن احتفالها الكبير فقد قررت كلية الاعلام ورابطة الأدب الحديث
وكرمة ابن هانيء والنادى الثقافى المصرى وجامعة المنصورة وقصر
ثقافة المنصورة اقامة ندوات وأمسيات وحلقات دراسية تتناول
جميعا شخصية الدكتور هيكل وفكره مشاركة منها تكثيفا وتعميقا
كذلك ساهم « التليفزيون » و « الاذاعة » بالعديد من برامجهما .

كما ساهمت الصحف والمجلات بالكثير من الاخبار والمقالات
والقصائد وأهم من هذا كله أن تلامذة ومحبي الشاعر الكبير « عزيز
اباظة » فكروا بالفعل فى تكوين جمعية ثقافية تحمل اسم الشاعر
الراحل تبدأ نشاطها بالاحتفال بالذكرى العاشرة لرحيله .

ليست هذه الفكرة ثمرة سريعة وان كانت تنتظر الاقتراف
شأنها شأن ثمار أو افكار أخرى ستخرج حتما وقريبا الى دائرة
الضوء والنور .

الحكيم ٠٠ في ميلاده الخامس والثمانين

في التاسع من اكتوبر عام ١٩٨٣ بلغ شيخ مفكرينا وأدبائنا « توفيق الحكيم » عامه الخامس والثمانين ٠٠ وبرغم اشتهاره بالبخل الشديد ، الا أن أسرته كانت تتمتع بشيء من الثراء والكرم، فقد ولد في ظل تلك الأسرة الثرية الكريمة بالاسكندرية في التاسع من اكتوبر عام ١٨٩٨ ، وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٤ وانخرط في السلك القضائي مثل والده المستشار المرموق ٠٠

ولكن الحكيم البخل الأديب الفنان ، اثر أن يختاف عن أسرته في كل شيء ، فاشترك في الحركة الوطنية بالتظاهر مع الطلبة وشارك في الحركة الفنية بكتابة مسرحيات تهاجم الانجليز وأشهرها مسرحية « الضيف الثقيل » كما ساهم في الحركة الاجتماعية الأخذة في التغير بمسرحيات تعالج مشكلات المرأة الجديدة مثل « المرأة الجديدة » و « جنسنا اللطيف » و « الخروج من الجنة » ٠٠

والواقع أن والده أراد أن يبعده عن كل هذه التيارات - الفاسدة من وجهة نظره - فأرسله على نفقته الخاصة الى باريس للحصول على الدكتوراه ، ولكنه ساعده في الحقيقة على التواجد في الجو الفني الذي كان يحلم به ، وهكذا عاش الحكيم وعاش المسرح والمسرحيين دون أن يذهب الى الجامعة أو يختلط بالجامعيين ولو مرة واحدة وعاد بعد ثلاث سنوات ليعمل - رغما عنه - وكليا للنائب العام بالمحاكم المختلطة ، ثم ترك النيابة وعمل بوزارة المعارف العمومية فوزارة الشؤون الاجتماعية فمديرا لدار الكتب فمندوبا مقيما لمصر باليونيسكو بباريس مرة أخرى ٠٠ وعندما عاد الى مصر

هذه المرة ترك العمل والوظيفة نهائيا ليستقر بجريدة الاهرام كاتبا
متفرغا ورئيسا فخريا لمجلس الادارة .

فى هذه الفترة المليئة بالتنقل والعمل والحركة كتب الحكيم اهم
وأخصب انتاجه من رواية ومسرحية ومذكرات ودراسات فكتب
يوميات نائب فى الارياف .. وذكريات فى الفن والعدالة .. وعصفور
من الشرق .. وزهرة العمر .. وأهل الكهف .. وعودة الروح ..
ثم أخذت المطبعة تتلقى انتاجه وأخذ القراء يتلقفون هذا الانتاج
وأبرزه : السلطان الحائر .. والصفقة .. والورطة .. وشمس
النهار .. والطعام لكل فم .. وياطالع الشجرة .. وتحت شمس
الفكر .. وشجرة الحكم .. وسجن العمر ، حتى وصل مجموع
انتاجه الى ما يعادل سنوات عمره .. وهى ظاهرة لم تحدث الا
بالنسبة للعقاد وأئیس منصور - كمثالين بارزين - وعدد قليل آخر
من الكتاب والمفكرين .

لا يصبح غريبا بعد هذا ، أن يؤثر توفيق الحكيم فى كتاب جيله
والأجيال التالية ، ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى الوطن العربى على
أقل تقدير ، وأن لم يكن قد تأثر به كتاب فى الشرق والعرب ، خاصة
بعد أن ترجمت معظم مؤلفاته الى العديد من اللغات فى مقدمتها
الفرنسية والانجليزية والايطالية والروسية والاسبانية واليونانية
والألمانية ، بل وعرضت بعض مسرحياته على مسارح العديد من دول
العالم الشئى الذى لم يحظ به كاتب عربى آخر ، بل أى كاتب من
العالم الثالث أجمع ..

وعلى الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من صدور عشرات
الكتب عن حياة الحكيم وطرائفه وأحاديثه ومسرحه وفكره ، وعلى
الرغم أيضا من فوزه بأعلى الجوائز وحصوله على أرفع الأوسمة
وتتمته بتقدير الرؤساء والكتاب والقراء ليس فى مصر وحدها ، ولا

في الوطن العربي بأسسه ولكن في العالم أجمع ، الا أن « الجائزة
المغرضة » المعروفة باسم « نوبل » تعمدت الا تشرف بوضع اسم
« الحكيم » في قائمة الفائزين بها على مر السنين ٠٠

الامر الذي لا يضيره ولا يرفع من شأنه في الوقت نفسه ٠٠

فقدرة ومقدرته محفورتان في ضمائرنا كما ستحفران في سجل
التاريخ ٠٠

السباعى ٠٠ والخلاص بالمحب

كان - ولا يزال - مسرحنا المصرى يعانى من أزمة حادة ٠٠ وكنت - ولا ازال - انتقده بشدة مستهدفا ، بجهدى المتواضع الى جانب قلة من المتحمسين المخلصين الخالصين ، تقويمه وترشيده ٠٠ وكان - ولا يزال - المسرحيون والمسئولون عن المسرح يغضبون لكلماتى وببالغون فى غضبهم الى حد الخصام - ولدرجة العراك ٠

وعندما تولى « يوسف السباعى - مهام وزارة الثقافة والاعلام دس له المفروض واخذوا يعمقون الفجوة بينه وبينى رغم صلتى الضعيفة به ، فلم اكن بغير عمد او سبب من المقربين اليه ٠٠ الى ان دعانى شاعرنا الصديق « صلاح عبد الصبور » للقاءه وتفويت الفرصة على الموتورين ٠٠ وذهبت اليه حاملا عددا من الأسئلة المباشرة حول « أزمة المسرح » فاستقبلنى بوجه بشوش خال من أية ملامح للضيق أو التبرم على عكس ماتوقعت ٠٠ وحدد لى موعدا آخر للرد على أسئلتى الجريئة - كما وصفها - ولكن الظروف الخارجية عن ارادتنا شاءت الا يتم هذا اللقاء حتى تركه للوزارة ٠٠ وتشاء الظروف مرة أخرى ان التقى به صدفة فى « مصعد الاهرام » بعد فترة من توليه رئاسة مجلس ادارته ورئاسة تحريره ، فيدعونى بروح الفارس الى مكتبه ليسالنى بلا مقدمات سؤالا محددا « أنت شيوعى ؟ » فأجيبه بلا تردد اجابة قاطعة « لا » ٠٠ وعلى الفور طلب منى ان اواصل الكتابة فى النقد ولكنه طلب منى أيضا الا اكتب عن شيء مسرحية كانت أو كتابا أو شخصا الا اذا احببته حتى لا يتحول النقد الى تجريح وحتى لا افقد حب الآخرين أو تفاديا للمداوات على اقل تقدير ٠٠ واتفقنا على هذا المبدأ ٠٠

وبعد رحيل أديبنا الفارس وفارسنا الأديب واستشهاده فوق
ساحة الحب في يوم المولد النبوي الشريف - دليل طهارة النفس
وصديق الايمان - لم أجد صعوبة في العثور على الاجابة التي لم ترحل
فهي قائمة وباقية في كل كتاباته وكل كلماته وخاصة فيما كتب
للمسرح ٠٠ في « أم رتيبة » سنة ١٩٥١ ، في « وراء الستار » سنة
١٩٦٢ ، في « جمعية قتل الزوجات » سنة ١٩٦٥ ، في « أقوى من
الزمن » سنة ١٩٧١ ، وفي « العمر لحظة » و « الحرب والسلام »
سنة ١٩٧٤ ٠٠ ففيها جميعا يؤكد 'ان الخلاص في الحب وللحب
وبالحب ٠٠

وهو اذ يعنون كتابه الأخير بهذا العنوان الخلاق « مصر
المشكلة والحل » ، انما يعلمنا أيضا أن « الحب هو المشكلة وهو
الحل » ٠٠ على الرغم من أن الحب معه والحب له لم يكن مشكلة
على الإطلاق ٠٠ فقد عاش « يوسف السباعي » بالحب واستشهد من
أجل الحب ٠٠

ثروت أباظة ٠٠ الانسان والالتزام

ثروت أباظة الانسان قبل الأديب ٠٠ والأديب قبل الكاتب ٠٠
والكاتب قبل المسئول ٠٠ والمسئول قبل السياسي ٠٠

بهذا الترتيب تتضح معالم شخصية الرجل ، الذى هاجمه الكثيرون عن غير حق ، واتهمه الكثيرون بالباطل ٠٠ وفى المقابل دافع عنه الكثيرون بشيء من المبالغة وامتدحه الكثيرون بقدر من المغالاة ٠٠

وهكذا لم يجد من ينصفه ان سلبا أو ايجابا ، فلم يوضع فى مكانه ولم ينل مكانته ، بغض النظر عن كتبه التى ارتفع توضعها وقدمت فى الاذاعة والتلفزيون والسينما وبغض النظر عن الكتب التى صدرت عنه وعن أعماله ، وبغض النظر عن جائزتى الدولة التشجيعية والتقديرية اللتين حصل عليهما فى عهديين سياسيين مختلفين ، وبغض النظر عن الحفلات والاحتفالات التى اقيمت تكريما له فى العديد من المناسبات ٠٠

ولا ادعى ائنى منصفه أو مقدره حق قدره ، ولو بالايجاب ، لانى لن اكون ذلك المتحدث بالسلب ، وخاصة بعد أن عرفته عن قرب ، وتعاملت معه فى العمل ، وشاركنه أفراحه وشاركنى أتراحى ٠٠

ومن هنا أبدا بانسانيته التى يعرفها ويفيد منها أعداؤه قبل أصدقائه ، فهو ذلك الكريم عن سخاء لا عن ثراء ، وهو ذلك المعين عن ود لا عن أسر وهو ذلك المجامل عن تعاطف لا عن عطف ، وهو ذلك المساند عن حب لا عن كبر ٠٠ سواء كان ذلك على المستوى الشخصى أو على مستوى الخدمة العامة أو الخدمات المهنية والفئوية ، فى الجمعية العمومية لمؤسسة الاهرام وعلى رأس مجلس اتحاد الكتاب ونادى القصة كاملة حية ٠٠

أما الأديب ثروت أباظه فهو الروائي الذى قدم أعمالا تتميز بالتجديد والتجدد وهو وإن كان يكن كل التقدير والاعزاز للرائد الكبير نجيب محفوظ ، واضعا إياه فى مكانة الأستاذ ، إلا أنه لم ينقل عنه أو يقلده أو يسير فى اتجاهه أو يسبح فى تياره كما أنه لا يعارضه أو يتناقضه بالضرورة ، وإنما قد خط لأدبه قناة إقليمية خالصة يحاول من خلالها أن يستصلح أرض الرواية العربية الجرداء وأن يزرع فيها نباتا أصيلا لا نباتا شيطانيا أو دخيلا ٠٠ وهو إذ يستخدم الرمز الموحى والمعادل الموضوعى ، إنما يستعين بهما على المحظور والمحاذير لكى يعبر عن الواقع كشفا عن الحقيقة وصولا إلى استعادة الحق والخير والحرية ٠٠

هكذا كتب « شىء من الخوف » و « هارب من الأيام » و « إلقاء هناك » و « خيوط السماء » ٠٠

ومن أجل هذا ظل يدافع عن ثلاثيته المجيدة « الحق والخير والحرية » فى كتاباته الصحفية ، وبذلك الحدة التى تكشف عن غيبتها وحرصه وإيمانه بما يكتب ، ليس ركوبا لموجة أو تقربا لسلطان أو بوقا لحاكم ، رغبة فى مال أو منصب أو جاه ، بدليل أنه ظل الى وقت قريب بلا وظيفة أو عمل غير وظيفة الكاتب وعمله ، وبدليل أنه هاجم الحاكم فى أوح مجده وامتدح حاكم آخر بعد موته ٠٠

وعندما اسندت اليه مسئولية العمل الصحفى من قبل الدولة فى مجلة رسمية ثم فى جريدة شبه رسمية ، ظل ملتزما بمبادئه وآرائه ، صادفت هذه المبادئ وتلك الآراء هوى السلطة أو لم تصادف هواها ٠٠

ولعل ثروت أباظه هو الذى أضفى – وربما دون أن يقصد أو يتعمد – بعدا جديدا ومذاقا خاصا لفكرة الالتزام أو قضية الالتزام ، بعد أن استأثر بها اليسار دون غيره من التيارات الأخرى ٠٠ فهو

بالمعنى العكسى أو المغاير ، ملتزم كل الالتزام ، متمسك به ، متربع
على قمته ، لا يهادن ولا يجادل ولا يحاور ولا يلين ٠٠

من هذا المنطلق دخل ثروت أباطة دنيا السياسة ، وإن كانت
جذوره وأصوله قد لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما مؤثرا وفعالا من
مقاعد الوزارات المختلفة والمجالس النيابية المتعددة والمنابر الشرعية
المفتوحة ، فوالده كان وزيرا للمواصلات وابن عمه وزير الكهرباء ،
أما هو فوكيل مجلس الشورى وعضو المجلس الأعلى للصحافة ٠٠

ثم ، هل قاربت أو اقتربت من الانصاف ، انصاف الرجل بغير
تملق أو رياء ، بعيدا عن الافتعال والانفعال ؟

انيس منصور : كانت له أيام

باسلوب شيق رشيق ، عذب رقيق ، ساحر دقيق ٠٠ وبلغت
سلسلة جميلة ، سهلة بليغة ، عالية رفيعة ٠٠ بعبارات أخاذة وكلمات
براقة ومعانى نافذة ٠٠ صاغ « انيس منصور » كتابه الضخم العميق
« فى صالون العقاد » كانت لنا أيام »

والكتاب (٧٠٠ صفحة من القطع الكبير و ١٥٥ صورة
فوتوغرافية وزينية) ليس دراسة ولا قصة ولا رحلة ولا مسرحية ،
وانما هو سيرة حياة جيل بأكمله ، عاش فيه وعاشه انيس
منصور ٠٠

ولأنه فيلسوف وأديب وكاتب ، اتخذت كل كتاباته هذا الطابع
المميز والتميز ٠٠ فالقصة عنده فلسفة ، والفلسفة عنده رواية ،
والرواية عنده أدب ، والأدب عنده مقالة والمقالة عنده فكرة ، والفكرة
عنده رحلة ، والرحلة عنده دراسة ، والدراسة عنده سياسة
والسياسة عنده رأى والرأى عنده موقف وسيرة وحياة ٠٠

وهكذا أصبح انيس منصور موسوعى الكتابة لأنه دائماً
موسوعى القراءة ، يتمتع بذاكرة الكترونية سمعية وبصرية ،
ويستمتع بذكاء فكرى واجتماعى على المستويين الجاد والترفيهى
ثم هو يتمتع مستمعيه ومشاهديه بأحاديثه الفياضة الطريفة كما يشبع
قرائه من خلال الصحف والمجلات والكتب بكتاباته الدسمة والخفيفة
معا ٠٠

و «صالون العقاد» هو الكتاب الواحد والخمسين فى حياة انيس
منصور ٠٠ وقد عرف أكثر ما عرف من خلال كتب الرحلات (٨ كتب)

أبرزها : حول العالم في ٢٠٠ يوم (١٣ طبعة) ويلاذ الله خلق الله وغريب في بلاد غريبة ٠٠ كما عرف من خلال دراساته التي سبق نشرها بالصحف والمجلات (٢٥ كتابا) أبرزها : وحدي مع الآخرين وعذاب كل يوم ويسقط الحائط الرابع وكرسى على الشمال وقالوا (٦ طبعات) ووداعا أيها الملل والذين هبطوا من السماء (٦ طبعات) ومن أول نظرة ٠٠ ثم عرف من خلال مسرحياته (٥ كتب) أبرزها : الأحياء المجاورة وحلمك يا شيخ غلام ومين قتل مين وجمجمة كل واشكر ٠٠ ومن خلال ترجماته (١٠ كتب) أبرزها : الامبراطور جونز وبعد السقوط وهى وعشاقها ٠٠ ومن خلال قصصه (٣ كتب) أبرزها : بقايا كل شيء وعزيزي فلان ٠٠

أما ما لم يعرف به أنيس منصور بعد فهو الشعر ، وديوانه الأول في الطريق الى الصدور ٠٠

هذا الجانب الشعري الذى ظل مختفيا حتى قارب أنيس منسر عامه الستين واقترب منه ، لعله هو الجانب الأكثر تعبيراً عنه ٠٠ ذلك المجهول ٠٠ فبرغم الفلسفة الجافة وأن استطاع أن يتخلص ويخلصها من جفافها ، وبرغم رئاسته المجردة وأن تمكن من الهروب منها وبها الى القراءة مع الساعات الأولى من نهار كل يوم ، وبرغم مسئولياته الجسيمة وأن أراحه الله منها على غير رضى منه ، ظل الشعر عنده ومن عنده هو الملائ وهو الخلاص ، راحة كل يوم من عذاب طول اليوم ٠٠

ولم يكن « صالون العقاد » هنا ، الا مناسبة للحديث عن أكثر رواده وخلصائه حبا ووفاء ، أنيس منصور ٠

عبد الصبور ٠٠ فارس احلامنا الجديدة

رحلت ميكرا وكنا نظن أننا الراحلون قبلك ٠٠ فقد كنت المثل
وكننت الامل ، كنت الملاذ وكننت الخلاص ، كنت المرفأ وكننت الربان ،
كننت الفارس القديم وكننت الفارس الجديد ٠٠ ولكنك تخليت عنا
فجأة ، كما تخليت فجأة عن نجمك الآخذ في الارتفاع ومجدك الضارب
في الأعماق ، في وقت نحن فيه والشعر ، في مسيس الحاجة اليك :
نصيرا وناصرا ، وجسرا صليبا وممهدا للصلة والتواصل بيننا ،
نحن المثقفين من جيلك والاجيال التالية . بكل ما فينا من حساسية
مفرطة تعترينا الى حد المرض ، وبكل ما بداخلنا من قلق وتوتر ،
فكننت الحصن الحصين والحارس الأمين ، الأب ، والأخ والصديق
والزميل ، تهديء من روعنا بهدوءك ، وتطيب خاطرنا بسماحتك ،
وتتلقفنا ببشاشتك ، تلبي طلباتنا ومتطلباتنا بغير كلل أو ملل .

لماذا اذن ضاق صدرك وذبح ، واحتقن دمك واحترق ، وجرح
كبرياؤك وطعن ، والتاع فؤادك واعتصر ، وتوقف نبضك وسكت
ونزف قلبك وصمت ، أمام بجاجة الموقورين المنهزمين الفاشلين
الهاريين ٠٠ انت الصلب الصلب ، الصامد الصامت ، القانع المقنع ،
النجم الملامع ، الحقيقة والحق ؟

هل نطلب لهم - ونحن نودعك الى الخلد بقلوب ممزقة مؤمنة -
الرحمة والعفو ، اعلمهم يندمون ، في وقت لا ينفع فيه الندم ١٩



وتهدأ الانفعالة ولكنها لا تخبو ، فصلاح عبد الصبور باق
كانسان وكذكرى وصلاح عبد الصبور باق كشاعر وككاتب مسرحى ،
وصلاح عبد الصبور باق كمسئول لعب دورا بارزا وملموسا فى حياة
المثقفين وعلاقتهم بالأجهزة الرسمية ، سواء فى المجلس الأعلى للثقافة
أو فى الهيئة العامة للكتاب ٠٠

صحيح ان صلاح عبد الصبور ، رحل وهو فى قمة الخصوبة
والمطاء ، فكان يمكنه أن يقدم للشعر والمسرح الكثير والكثير جدا ،
ولكن الصحيح أيضا أن ما قدمه من شعر ومن مسرح يكفى أكثر
من شاعر وأكثر من كاتب لكى يسجلوا فى تاريخ الشعر والمسرح ،
علامات مضيئة لمذاهب جديدة ومدارس حديثة ٠٠ فمنذ الديوان الاول
« الناس فى بلادى » مرورا بديوانى « اقول لكم » و « احلام الفارس
القديم » وانتهاء بديوانى « الابحار فى الذاكرة » و « شجر الليل »
وهو يقود حركة الشعر الحر الجديد ، قيادة واعية ، لا تنفرد
بالغرور والانانية والخوف من المنافسة ، بل تجمع حولها الطاقات
الابداعية المواكبة والبراعم الشابة الطالعة ، فى تجمع شعرى يبنى
ولا يهدم ، يعمق ولا يسطح ، يقوى ولا يفتت ٠٠ ولأنه أحب الجميع ،
أحبه الجميع ، ولأنه أخلص للشعر ، وضعه الشعر على قمة القائمة ،
وكان جديرا حقا بامارته ، رغما عن أصوات الحقد والكراهية
والتعصب والتحزب والتمذهب ، الغاشمة ٠٠

فمنذ المسرحية الأولى « مأساة الحلاج » مرورا بمسرحيتى
« بعد أن يموت الملك » أو « ليلى والمجنون » وانتهاء بمسرحيتى
« الأميرة تنتظر » و « مسافر ليل » وهو يمد المسرح العربى الحديث
بتيار جارف ونبض دافق وفكر متقد ، مشكلا اضافة أدبية وفنية
سواء للمسرح الدرامى الخالص أو للمسرح الدرامى الشعرى ، من
حيث المضامين ومن حيث الشكل ، فكما جاء بأفكار وموضوعات
وشخصيات جديدة ، جاء محررا للشعر من عاموده وقوافيه

وأغراضه ليصبح ملائما للحوار والحركة ، سواء جاء الحوار على هيئة مونولوج أو ديالوج ، وسواء جاءت الحركة فردية أو ثنائية أو جماعية ، في موقع واحد أو أكثر وفي زمن محدد أو متعدد ٠٠

هنا تناولنا مسرحياته الطويلة أو مسرحياته القصيرة ، وجدنا أنها تتفق جميعا في ملامح أساسية أبرزها « الرمزية » التي تمتد الى « التعبيرية » وقد تصل الى « السيريالية » دون أن يعنى ذلك أنها تحلق بالضرورة في عوالم الخيال مبتعدة عن أرض الواقع وأحداث الواقع ٠٠ فالحلاج قطعة من التاريخ الصوفي وليلى ومجنونها شريحة من الأدب العربى ، اذا سلمنا بأن الملك والأميرة والمسافر شخصيات خيالية نسبح في عالم الرمز ٠٠ علما بأن الحدث الرئيسى في كل مسرحية والذي تدور في فلكه الأحداث الفرعية ، إنما ينصب على الواقع المعاصر المعانى ليعبر عنه ويلقى الضوء عليه ويكشف جوانب منه بطريقة التلميح والاسقاط والاستهداف ، تارة بالاستشراف وتارة بالتحذير وتارة بالتوقع وتارة بالتقرير وتارة بالتنديد وتارة بالرفض وتارة بالاستنكار ٠٠ وهكذا ٠٠

ومن هنا يمكن القول بأن « مسرح صلاح عبد الصبور » إنما هو مسرح فكرى في المقام الأول ، اجتماعى بالدرجة الأولى ، وسياسى فى هدفه النهائى ٠٠ وأبرز دليل على ذلك مسرحيته « ليلى والمجنون » التى كانت تعبر عن النكسة وتنبأ بالمستقبل تحذيرا وتقريرا ٠٠ وليس أدل على ذلك من تقديم كل مسرحياته على خشبة المسرح المصرى ، بعد صدورهما فى طبعات متميزة ، وتقديم معظم هذه المسرحيات على خشبات المسارح العربية المختلفة وصدورها أيضا فى طبعات جديدة ، ثم ترجمة أغلب هذه المسرحيات الى عدد من اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والانجليزية واليوغوسلافية والروسية والايطالية وتقديم عدد منها على مسارح باريس ولندن وموسكو وبلجراد وروما ونيودلهى وامستردام وارسو ٠٠ ولاشك أن رحيل الشاعر الكاتب

الفنان « صلاح عبد الصبور » فجأة ومبغرا ٠٠ وهو في عز العطاء
وقمة المنح وذروة الانفعال – سيزيد من الاهتمام بإعادة طبع أعماله
وترجمتها وتقديمها على خشبة المسرح ، ليس المصرى فقط ، وليس
العربى فحسب ، ولكن العالمى أيضا وكذلك ٠٠

تحية لروحه الطاهرة وذكره العطرة ، اعترافا بالفضل
والتفوق والمقدرة والجميل ٠٠

بعلبكي ٠٠ تحترق في قلب بيروت

بعد أن هدأت الحركة الثقافية والفنية في أعقاب حقبة زمنية شهدت بيروت حافلة وخصبة وسخية في الأدب والشعر والمسرح ، بدأت حالات الاسترخاء تسود « شارع الحمراء » بمقاهيه الحديثة وقد امتلأت بالأدباء والشعراء والفنانين فضلا عن رجال الاعلام من مذيعين وصحفيين . وفي ركن داخل أحد المقاهي الشهيرة التقيت بصاحبة « أنا أحيا » و « الالهة المسوخة » و « سفينة حنان الى القمر » الكاتبة اللبنانية الطموحة والمتحدرة « ليلى بعلبكي » التي درست الآداب الشرقية بالجامعة اليسوعية ببيروت وحصلت على دبلوم فيها من السوربون تحت اشراف المستشرق الكبير « جاك بيرك » ٠٠

اما المجموعة الثالثة فقد صحبتها احداث غيرت مجرى حياة الكاتبة كما غيرت أدبها لونا ومذاقا وأسلوبا ٠٠ فما أن ظهرت « سفينة حنان الى القمر » حتى صادرها المدعى العام اللبناني بدعوى الاساءة الى الاخلاق العامة لما فيها من اباحية خاصة بعلاقة الرجل والمرأة وبالحب ٠٠ وحوكمت « الفتاة » ولكنها برئت في الوقت الذي افرج فيه عن الكتاب المصادر ٠٠

هذه الاحداث وقعت عام ١٩٦٤ عام الحزن والسأم بالنسبة للكاتبة ، وهو أيضا عام زواجها ٠٠ وشارك الثلاثة ، الحزن والسأم والزواج في اعاقبتها عن الكتابة وابعادها طوال السنوات الثماني التالية عن الحياة الثقافية بعد أن عملت فترة قصيرة بمجلة « الاسبوع العربي » اللبنانية ٠٠

أقول « ليلي بعلبكي » عن « الزواج » أنه شر لا بد منه لانجاب الأطفال فهي تحب الأطفال ، رغم أن الأمومة تجربة قاسية وعائق قوى في وجه الابداع ، ولأن الشتاء الشرقية لا يمكن أن تكون أما بدون زواج فانها تدفع ثمن الأمومة بالزواج أو تدفع ثمن عدم الزواج ، إلا أن الزواج الحراً أو غير الرسمي ليس حلاً على الإطلاق ٠٠ والمرأة في كل هذا هي ضحية الطبيعة ، وخاصة إذا كانت مبدعة ٠٠ فاشهر الحمل والولادة والنقاهاة فضلاً عن ساعات العمل اليومية المخصصة للبيت والأطفال ، عوائق لا يتحملها الرجل ٠٠ وعن هذه التجربة ، تجربة الزواج ، كتبت « ليلي بعلبكي » رواية تسجيلية بعنوان « يوميات امرأة ممددة على ظهرها » ٠٠ وهي أول رواية لها بعد مجموعاتها القصصية الثلاث وأول عمل تعود به إلى الحياة الثقافية بعد ثماني سنوات من الحزن والسأم والزواج ٠٠ كانت « ليلي بعلبكي » في حاجة إلى تجربة جديدة وكانت تنتظر حتى تختمر التجربة في حياتها وعلى قلمها لتقف منها موقف الشاعر المتأمل والمتنبئ ٠ لا موقف الروائي الراوي أو الكاتب المعلق ٠٠ فكتبت قصة قصيرة نشرتها في « ملحق النهار » بعنوان « رصاص ٠٠ رصاصتان ٠٠ ثلاث » أثارت جدلاً طويلاً وتفسيرات مختلفة تركزت حول معنيين محددين أولهما القتل وتأنيهما الانتحار ٠ والواقع أنها كانت تعني « الثورة » ٠٠ كما كانت تدعو إلى الانتظار حتى يستشبق الوطن العربي رحيق الحرية فيسمح للكاتب بأن ينفذ وينتقد معا عن نفسه وعن الأوضاع من حوله ٠٠ غير أن « نكسة ٦٧ » التي جاءت مفاجئة وعاصفة ومروعة خيبت الآمال وأصابت الجميع بصدمة ذهول وانطواء ٠٠

وعندما انتهت « ليلي بعلبكي » من كتابة روايتها « امرأة ممددة على ظهرها » عام ١٩٧١ ، لم تجد من ينشرها إلا بشروط اعتادت هي أن ترفضها ، ولهذا قررت أن تنشرها على نفقتها الخاصة رغم أنها تكره هذا الأسلوب بالنسبة للكاتب ، كما تكره أسلوب الاستغلال

بالنسبة للناسر ٠٠ فمعظم الناسرين الآن يتاجرون فى النكسة
ويزيدون بها كما يتاجرون فى الرفض. رفض المبادرة ورفض السلام،
تحت شعار ، « السياسة » فالشعر سياسة والقصة سياسة والرواية
سياسة والمسرح سياسة والفكر سياسة وكل شىء سياسة فى
سياسة ٠٠

وانقطع الحوار ٠

بيتى ٠٠ مستشرق فى باريس

الدكتورة « أوديت بيتى » واحدة من المستشرقات اللاتى اهتمن بالأدب العربى والمصرى بصفة خاصة ٠٠ وهى الأستاذة المساعدة للمستشرق والفكر الكبير « جاك بيرك » وقد تخصصت فى الدراسات اللغوية وأبرزها « علم اللغة » فطبقت نظريات هذا العلم الحديث على « أيام » طه حسين ، كما أصدرت دراسة اجتماعية ونفسية عن مدينة « الاغواط » الجزائرية .

والغريب والطريف معا أن الدكتورة « أوديت بيتى » مصرية الأصل والمولد ، درست بمدارس اللغىسيه المصريه ، ثم رحلت الى باريس لتستكمل دراستها وتستقر بها ٠٠ ولعل هذا هو سر اهتمامها بالأدب المصرى ٠٠

ودار بيننا هذا الحوار :

— ماهى أصول علم اللغة وكيف نتذوق هذا العلم ؟

هو علم معاصر يدرس فى أقسام عديدة مثل قسم الأصوات وقسم النحو وقسم المعانى . وقد أثر هذا العلم على جميع العلوم الانسانية الأخرى وبصفة خاصة على النقد الأدبى . وأهم من التذوق ، معرفة لماذا نتذوق ؟ هنالك فن ناتج عن اختيار الكلمات والتنسيق بينها . مثلما فعل طه حسين فى أعماله الأدبية و « الأيام » بشكل بارز ومحدد ٠٠ وهذا العلم يساعد بالتاكيد على تحليل الأدب ونقده علميا الى جانب القواعد الأدبية المعروفة والمستخدمه سلفا ٠٠

— هل قمت بتجربة دراسة نص بالعامية من خلال أصول علم اللغة ؟

في بداية أبحاثي عن علم اللغة العربية ، أجريت مقارنة بين اللهجة المصرية واللهجة الفرنسية في الأصوات ، فوجدت أن اللغة العربية لغة « حلقية » أى تتعلق بالحلق ، أما اللغة الفرنسية فهي لغة « لسانية » أن صح هذا التعبير ، لأنها تتعلق باللسان مباشرة . ولهذا يصعب تعليم اللغة العربية للفرنسيين وإن كان العكس غير صحيح ، فمن السهل أن يتعلم العرب اللغة الفرنسية .

— هل يوجد مستشرقون آخرون يدرسون اللهجات المحلية العربية ؟

هناك بعض المستشرقين وعدد من الأبحاث ٠٠ وقد تذكرت الآن انى أجريت بحثا عن قبيلة جزائرية اسمها « المرازق » .

لم أسمع هذا التعبير ، رغم أهمية دور العرب الذين ينقلون الأعمال الغربية من لغاتها الأصلية كالفرنسية والانجليزية والاطالاية والاسبانية والالمانية والروسية مثلا الى اللغة العربية . وإن كان هناك من يعترض على استشراق المستشرقين ، بدعوى أن الدارسين للغة العربية من غير العرب لا يمكنهم التعمق في أصولها والوقوف على خباياها . ولكن من ناحيتنا فنحن نعترف بأن العرب الذين درسوا فيكتور هوجو وفولتير وغيرهم قد تفهمهم جيدا ونقلوا أفكارهم بامانة وصاغوا أساليبهم بدقة وحساسية .

بل أضيف أن المستشرقين قد لعبوا دورا هاما في نقل الأعمال العربية الى اللغات الأخرى بينما لم يقد العرب لنفسهم بمثل هذا الدور . ولكن هل استطاع الأدب العربى ، من خلال المستشرقين ، أن يصبح عالميا ؟

الحضارة الاسلامية كان لها دور عالمى فى العصور الذهبية ،
وينبغى أن يقوم الباحثون بتعريف هذا الدور أولا ، لأن الاسلام اخذ
من الحضارات السابقة عليه ولكنه جاء بالجديد للحضارات
اللاحقة ٠٠

— لم يحصل أديب عربى على جائزة نوبل العالمية حتى الآن ،
فبماذا نفسر ذلك ؟

جائزة نوبل العالمية ليست حكما وليست محكما ٠٠ واعتقد ان
للأدب العربى والثقافة العربية ، عبقرية خاصة لم يحس بها العالم ،
وعلىنا ان نعرف الجميع بهذه العبقرية ٠٠

شخصيات غريبة

مالرو .. وقلبه النابض

« القلب النابض » هو عنوان الكتاب الذى وضعته « سوزان شانتال » فى شكل روائى عن حياة الوزير الأديب « اندريه مالرو » ..
فهى تركز على قصة حب مالرو وجوزيت كلوتيس التى تشبه كثيرا قصة « روميو وجولييت » أو « انطونيو وكليوباترا » أو « تريستان وايزولدة » ..

وقد احتفظت المؤلفة بكتابها ثلاثين عاما ولم تنشره الا بعد رحيل « جوزيت » وبعد أن أصبح مالرو وحيدا حتى وهو مع زوجته « كلارا » .. والمؤلفة تتابع حياة مالرو منذ نضاله فى أسبانيا ثم فرنسا فى موقعة الالزاس واللورين ثم محاولة اعتقاله ونقله الى المانيا بعد اشتراكه فى المقاومة الى جانب فريق المثقفين المحاربين - كما كان يطلق عليهم - ثم سجنه واصابته الى أن وضعت الحرب فى نهايتها نهاية لنضال المثقف المحارب اندريه مالرو .. وأهمية هذا المزج بين النضال وقصة الحب ، انما هو تأكيد على انسانية مالرو ، ذلك المحارب المحب ، فهو لا ينسى حبه وسط المعارك والاحداث :
فى السجن ، فى الخندق ، فى المنفى وفى المستشفى ..

يقول مالرو في كتابه الشهير « مذكرات مضادة » انى ابحث عن مجهول عظيم تدفعنى اليه غـريزتى ٠٠ وفي هذا ياتقى بشاتوبريان ، فكلاهما شخصية غير عادية أو سوبرمان ، وكلاهما يضع قناعا كوميديا فوق وجهه مأساوى يتميز صاحبه من الوحدة فوق القمة الباردة ٠٠ هذه التراجيديا الانسانية تراها واضحة فى « الوضع الانسانى » التى يعرفها مالرو بقوله « ان تكون اكثر من انسان فى عالم انسانى هروبا من الوضع الانسانى ، فلن يكون ذلك الا بمقدرة أو بكل القدرة ٠٠ بإرادة القدرة أو إرادة التآلم » ومن هنا اعجاب مالرو بالاسكندر الأكبر ، لأنه التعبير المثالى عن إرادة القدرة ٠٠ ولقد يأسر مالرو إرادته من خلال اشتراكه فى الحربين الاسبانية والفرنسية ٠٠ تلك الإرادة التى تمتد الى الابتكار والابداع والاكتشاف ٠

وفى مواجهة كل هذه الإرادة ، إرادة القدرة ، يقف القدر ٠٠ ولكم كان القدر قاسيا على مالرو ٠٠ اعدم أحد أشقائه ، ومات الثانى فى المنفى ، ولقيت جوزيت مصرعها تحت عجلات القطار ، ولقى ولداه مصرعهما معا فى حادث سيارة ٠٠ اما هو فقد مات بالفعل فى المستشفى ولكنه قاوم الموت بعد ان أعلن الأطباء النبا ٠٠

وإرادة القدرة أو قدرة الإرادة لا تتمثل عند مالرو فى مواجهة القدر ومواصلة الحياة فحسب ولكنها تتبلور أكثر فى قدرته على الحب رغم كل هذه التحديات ٠٠

ولهذا يعد مالرو واحدا من عظماء التاريخ وأحد النماذج المثالية النادرة لانسان القرن العشرين ، ليس فقط لأنه « القلب النابض » ولكن لأنه أيضا « نبض هذا العصر » ٠٠

وهكذا يجيء كتاب سوزان شانتال « القلب النابض » صورة
حية لحياة مالرو وشخصيته وفكره وقدره وليس فقط سيرة عاطفية
لعلاقته بمحبوبته وملهمته جوزيت كلونيس .

والكتاب بعد هذا كله يخرج بشكل جديد فى «أدب السير» حيث
تغزل الكاتبة فصول كتابها وكأنها رواية فيها من الخيال قدر ما فيها
من واقع أو وقائع دون خلط أو جفاف .

بومبيدو ، مفكرا وثاقدا

كان يحب الفن التجريدى والرواية الجديدة لأنهما نتاج عصره ، ولكنه كان يرثى لانحسار المد الكلاسيكى (اليونانى واللاتينى) فى دعم الثقافة الحديثة وكان يرجو أن يلعب التليفزيون دورا ثقافيا ويقول : « لا يكفى الانسان أن يكون فيلسوفا حتى يصبح عظيما ولكن الانسان العظيم لابد أن ينمتع بحدس فلسفى » .

ان الرئيس التاسع عشر لفرنسا ، ورئيس وزرائها لمست سنوات فى حكومة ديغول الأخيرة ، حصل على الدكتوراه فى الآداب وكانت له اهتمامات فنية ومؤلفات أدبية أهمها (مختارات من الشعر الفرنسى) وأحدثها (انشعر والسياسة) .

وبومبيدو طراز نادر من الساسة المثقفين الذين لم تحظ فرنسا ولا العالم أجمع الا بعدد قليل منهم . . فهو سياسى يتخذ من السلطة وسيلة لتحقيق الرخاء فى الداخل والسلام فى العالم . وفنان يحب الفن ويصادق الفنانين . ولكنه لا يتوزع بين النزعتين أو يدعهما يتصارعان فى داخله ، فقد استطاع بمرونة بالغة ووعى عميق أن يجمعهما فى وحدة بللورية واحدة ، ، يعبر عنها أصدق تعبير كتابه الأخير « الشعر والسياسة » .

فى هذا الكتاب يخالف بومبيدو المفهوم الشائع بأن الشعر يمثل السماء ، وأن السياسة تمثل الأرض ، ويذهب الى أبعد من ذلك عندما يؤكد أن الشعر ليس فى خدمة السياسة وأن كانت السياسة فى كثير من الاحيان فى خدمة الشعر . . اليسست السياسة فى خدمة الانسان ؟ » .

فإذا كان الشعر فناً يعيش بالكلمات فإن السياسة فعل يعيش على الأحداث ٠٠ والتاريخ يؤكد أن الشعر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة السياسية بل هو الدافع دائماً إلى « الإصلاح » و « الثورة » .

عندما أصدر هوجو ديوانه « أفعال وأقوال » كان يجمع بين الرؤية الشعرية والنظرة السياسية ٠٠ وعندما قال تشرشل عبارته الشهيرة « ليس لدى ما أقدمه لانجلترا غير الدم والعمل والدموع والعرق » ٠ كان يقول شعراً ٠

وكان دييجول يقول شعراً عندما أطلق صيحته المدوية من لندن عام ١٩٤٠ ٠٠ « مادام المكلفون بحمل سيف فرنسا قد تركوه يسقط مكسوراً فأنى أجمع أشلاءه وأحارب بها ٠٠ وأنت ياكليمنصو في قبرك السحيق ، هذا هو ١١ نوفمبر فلا تنم » .

ويسوق بومبيدو أمثلة حية من التاريخ تؤكد صلة الشعر بالسياسة : راسين وكورنى وشكسبير وايلوار كانوا ينقلون السياسة إلى الشعر كما نقلها أراجون ونيرودا وشعراء المقاومة في العالم .

أما الاسكندر فقد ترك مقدونيا متجهاً إلى ضفاف النيل ليموت في بابل ٠٠ ونابليون ترك فرنسا متجهاً إلى ضفاف النيل أيضاً ليموت في سانت هيلانة ٠٠ وكلاهما كان يحلم بماء النيل وهواء النيل وشمس النيل ، لأنهما كانا ينطلقان من وحى الشعر وضمير الشعر ورؤى الشعر ٠٠

وأخيراً فسواء كان الإنسان العظيم شاعراً فقط أو رجل سياسة فحسب أو كليهما معاً فإن هدفه الحقيقي الذى يعمل من أجله سواء بالكلمات أو بالأفعال لا بد أن يكون سعادة الإنسان .

أراجون ٠٠ شاعر الحب والمقاومة

ورحل لوى أراجون ، فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٢ بعد ٨٦ عاما و ٨٢ يوما من مولده بباريس فى الثالث من أكتوبر عام ١٨٩٦ . قرأ وهو فى التاسعة تولستوى ودوستويفسكى وجوركى وقرأ وهو فى الحادية عشرة باريس وستندال والتقى وهو فى الثامنة عشرة ببريتون وسوبو وبيكاسو ، فاندلعت مع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) الدادية والتكعيبية واشترك أراجون مبكرا فى المقاومة الأولى .

» بلغت العشرين وأنا فى التكنات صبى نحيف يرتدى الملابس الزرقاء يحلم كثيرا ٠٠ ويأكل قليلا » ٠٠

أصدر أراجون المجلة الأدبية التى استوعبت كل التيارات الفكرية والشعرية والفنية الى ان اعلنت فى عام ١٩٢١ انعقاد « المؤتمر الدولى للدفاع عن الروح الحديثة » وأعلنت فى العام التالى مولد السيريالية والتى دفعت الشاعر لوترييامون الى قوله « الشعر لن يكتبه بعد الآن شاعر واحد ولكن الجميع سيقولونه » ٠٠ وكما تميزت السنوات ١٩٢٤ - ١٩٢٩ بالثورة السيريالية أصبحت السيريالية فى خدمة الثورة خلال السنوات ١٩٣٠ - ١٩٣٣ .

وكان أراجون قد التقى بالمسا فى السادس من نوفمبر ١٩٢٨ واشترك معها فى مؤتمر الكتاب الثوريين المناهضين للفاشية من خلال دراسة لماياكوفسكى والفلاسفة المحدثين .

وفى عام ١٩٣٥ اشترك مع مالرو فى التجمع الدولى للكتاب

دفاعا عن الثقافة ٠٠ واضطر للجوء لسفارة شيلي ، وبعدها بدأ مع مجموعة كبيرة من الكتاب والفنانين الاعداد لسبل المقاومة ، وبحكم دراسته الطبية تعهد بالخدمات الصحية والاسعافات الأولية ، ولكنه لم يكف عن الكتابة باسم مستعار ٠٠ وحرّم من حقوقه المدنية لفترة عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٤٨ عقابا على مقالاته ٠

وبعد رياسته لـ لجنة الآداب الفرنسية ، دخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي وحصل على جائزة لينين للسلام ٠٠ فلم تكن الثورة تتمثل عنده في هؤلاء الذين يثورون من أجل الجوع فحسب ولكن في هؤلاء الذين يثورون أيضا من أجل الحرية ٠٠ فهو يقول : كم تساوى الحياة – الحرية الكريمة – لكى نشقى من أجلها ٠٠ كما كان يقول : لم أكن أبدا الانسان الذى أنا هو ٠٠

هذه الأقوال وغيرها عن حياته وكفاحه وحبه تركزت في ديوانيه « العيون والذاكرة » ١٩٥٤ و « الرواية التى لم تتم » ١٩٥٩ ، فهما بمثابة الترجمة الذاتية ٠٠ أما ديوانيه الأخرى فقد تعدت الثلاثين ديوانا أولها ظهر عام ١٩١٩ بعنوان « نار السعادة » وأخرها ظهر عام ١٩٦٦ بعنوان « رتاء الى بابلو نيرودا » ٠٠ أما أهم هذه الديوانين جميعا فهي « عيون السا » و « مجنون السا » و « فى بلد غريب فى بلدى ذاتها » و « احبيك يا بلدى فرنسا » و « لن يجيء عام الفين » ٠٠ وأما رواياته ودراساته فقد وصلت الى الأخرى الى أكثر من ثلاثين كتابا أهمها : « فلاح من باريس » و « الاحياء الجميلة » و « من أجل واقعية اشتراكية » و « هوجو شاعر واقعى » و « الكذب الصادق » ٠

ورغم كل هذا الانتاج الوفير والخصب معا نراه يقول : « شئ غريب فى نهاية الأمر ان العالم سارحل عنه يوما دون أن أقول كل شئ » وهو الذى قال أيضا :

وفي هذا يقول روجية جارودي « لقد كان دخول اراجون الحزب
التزاما بصراع ضد صراع لم يكف عن اظهار آلامه
المتوالية » .

ولعل هذا ما دعا « اراجون » الى التفكير في « الانتحار » مثلما
فعل كامو - كحل للوجود ، ولكنه لم يقره وام يأخذ به ولم يقدم
عليه . فقد كان يبحث في المجهول عن المطلق ، وكان يشقى في سبيل
سعادة الانسان في عالم متقدم ومتطور ومتحضر ، حتى رحل الى
المجهول وان لم يكن بشكل مطلق .

« الحياة بالنسبة لى مسرح نجىء الىه من بعيد ، بعيد ، »

وان كان يعلم تماما ان « الفن ليس هو نهاية هذه الحياة ،
وان الشعر ليس هدفا فى حد ذاته ، فهما معا التعبير المباشر المحكوم
بالأفئدة عن الوقائع المعاشة ، ومن هنا عرف مايسمى بالشعر الثورى
والشعر الوطنى .. »

ولقد استخدم « اراجون » اللغة الفلسفية والحوار الداخلى
والوصف الدقيق للأشخاص والأشياء والمشاعر ، حتى قبل أن
يستخدمها « الان روب - جرييه » وكتاب « الرواية الجديدة » فى
فرنسا فكان بمثابة المبشر والمنظر .. ولكنه عرف أيضا لغة الجماهير
الخطابية أو اللغة الدارجة التى تقترب من البيانات والاحصائيات
حتى فى اشعاره .

وهكذا عاش « اراجون » ومارس كل التناقضات والمتناقضات
سواء فى الحياة الاجتماعية أو الوجود الفكرى ، فالمادية والسيريالية
تتناقضان تماما مع الواقعية ، وكذلك تتناقض الفردية والمثالية مع
الاشتراكية فضلا عن المادية الجدلية .

وتوقف « اراجون » عند تعبيرات كثيرة مثل « بروليتاريا
الروح » و « حرية الروح » و « البروليتاريا العالمية » و « رأسمالية
الفكر » و « البرجوازية الثورية » و « التحرر والانحلال » و « التقيد
والالتزام » و « الوجودية والعبث » ، ولكنه أدرك أن الحرب هى التى
فجرت كل هذه المتناقضات وأكدت كل ذلك التناقض ، وكان عليه
أن يصل وأن يدعو للعمل - كما نادى ماركس من ناحية وروسو من
ناحية أخرى - على تغيير الحياة وقتما يتغير العالم .. أما الأسلوب
فهو ليس على طريقة الفرديين الذين يتجاهلون العالم أو يخضعونه
لقوانينهم ، ولكن على هيئة وجود جماعى يربط العالم بالانسان
والانسان بالعالم .

باريوس ٠٠ بين الجحيم والنار

ولد « هنري باريوس » في مدينة آزونبير الفرنسية عام ١٨٧٣ ، في السابع عشر من مايو على وجه التحديد ، لادوين ميسسرين ، فوالده كان كاتباً مسرحياً مرموقاً ، وكانت والدته سليلية أسرة عريقة ٠٠ اضطر أبوه الى رعايته الكاملة رغم مشاغله ، بعد موت أمه ولم يتجاوز الصغير سنوات عمره الست ، فأخذ يوسع مداركه الأدبية الى جانب دروسه التي يتلقاها من مدرسته الابتدائية ثم الثانوية ، الى أن انتقل الى مدرسة المعلمين العليا بباريس ثم كلية رولان حتى انتظم في جامعة السوربون متخصصاً في دراسة القانون .

وكان « باريوس » مولعاً بالأدب منذ الصغر ، موهوباً في مجال الشعر والكتابة ، ولكنه كان يتميز دائماً بالفكر والتفكير بحيث تفجرت ملكاته وقدراته في قاعات الجامعة وأبحاثها وردهاتها ، الأمر الذي لفت اليه انظار أساتذته وجمع حوله زملاءه من الثوريين المتحمسين للعدل الاجتماعي انطلاقاً من مفهوم المساواة والاخاء والحرية ، وهى المبادئ التي أصبحت دستوراً للثورة الفرنسية والمجتمع الفرنسى بعد ذلك وحتى الآن .

ومزج « باريوس » وهو لا يزال طالباً في السوربون - يفوز بالجوائز الأدبية ويأعلى التقديرات الدراسية - بين الكتابة والفكر ، بين ما كتبه ، وبطريقة « واقعية » رغم انتشار المذاهب الأدبية المختلفة وأبرزها « الرمزية » بزعامة فرلين ورامبو وما لارميه « الكلاسيكية » التي كانت تمتد بجذورها المحافظة وقيمها الجامدة وقوانينها الصارمة ، فقد وجد ان كلا المذهبين يعيش في الخيال

والأوهام مبتعدا عن آلام الناس وآمالهم منفصلا عن أرض الوطن
والعالم الذى تعيش فيه .

وأصدر « باربوس » أول عمل أدبى له عام ١٨٩٥ ، وهو ديوان
« النائحات » الذى كان سببا فى تعرفه بالكاتب الواقعى « كاتيل
مانديس » وابنته التى صارت زوجة له ، واستطاعت بثقافتها
وشاعريتها ان تساعد كثيرا وان تسعده أكثر .

أما الديوان الأول فقد أحدث ضجة فى الأوساط الأدبية ، وظن
الجميع انه يعنى ميلاد شاعر ينبئ بمسقبل باهر . ولكن
« باربوس » هجر الشعر بسرعة لما أحس فيه من تعال على رجل
الشارع من ناحية والواقع الثورى من ناحية أخرى . فأتجه الى
الرواية لأنها تمثل فى رأيه مرآة المجتمع ، قاعه قبل سطحه ، ولأنها
ضمير الشعب بكل فئاته وعلى اختلاف طبقاته . فصدر عام ١٩٠٣
رواية « المتضرعون » وفيها يحاول ان يمسك بالوسط الذهبى ، ذاته
وذكرياته من ناحية ، ومعاناة الجماهير وتمنياتهم من ناحية أخرى ،
بالنضال والكفاح .

وفى هذا العام نفسه ١٩٠٣ أصدر « باربوس » أهم رواياته على
الاطلاق « الجحيم » وفيها تتأكد موهبته ويكتمل نضجه وتتضح
رؤيته ويتميز أسلوبه وتتبلور لغته ويتحدد هدفه وبرغم أن الرواية
تكاد تندرج تحت شكل المذكرات أو الترجمة الذاتية ، إلا أن البطل
يتحول الى نموذج للكل . بطل لا نعرف اسمه ، فلا ضرورة لذلك ،
فهو يقول « ليست لى عبقرية ، ليست لى رسالة ، ليس لى قلب
كبير ، لا شئ عندى لا أساوى شيئا ، ورغم كل هذا فانى أريد
تعويضاً من هذه الحياة » . أن عبقريته ليست إلا بالآخرين ورسالته
هى رسالة الآخرين وبهم ، فإذا كان قلبه يخفق فى الآخرين ، فلا شئ
يفضل الناس عنده ، وهذا هو التعويض الذى ينادى به ويطلبه من
الحياة ، ان يكون دائما بين الآخرين ومنهم ، وعندما يقرر أن ينتحر

كفرد ليحيا في المجموع . لا يشعر بأية خسارة ، بل على العكس
تنتابه سعادة لاتعدها سعادة لأنه تحول الى انسان آخر ، انسان
غيره ، انسان رمز وليس انسانا فردا ٠٠ وهو يفرض على ذاته
هذا الاحساس بالجماعية رافضا فرديته ، مخفيا حقيقته ، مندمجا في
الكل ٠٠ وبدلا من أن يكون « الكل في واحد » أصبح « الواحد في
الكل » ٠٠

وقبل أن يصدر روايته الرائعة الأخرى بعنوان « النار » عام
١٩١٦ ، نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « نحن الآخرون »
عبارة عن ثلاث مجموعات هي « الشهرة » و « الرحمة » و « جنون
الحب » ٠٠ وتتشابه المجموعة الأولى مع المجموعة الأخيرة في سمة
مشتركة هي الشعاعية المثالية الرومانسية على طريقة « جى دى
موباسان » بينما تنفرد المجموعة الثانية والوسطى بالواقعية الشديدة
التي تجنح نحو طريقة « أميل زولا » الطبيعية ٠٠

أما رواية « النار » فتدور أحداثها وحوادثها حول الحرب
العالمية الأولى متخذة شكل المذكرات التي سجلها الكاتب بنفسه
اثناء المعارك والخنادق والاحتحام والمقاومة ٠٠ وقد نال « باربوس »
عن هذه الرواية « جائزة الجونكور الكبرى » في العام التالي
لنشرها ٠

واختتم « باربوس » هذه المرحلة الثورية في إطار الحرب
برواية « الضياء » التي ظهرت عام ١٩١٩ تعبيرا عن فكر المثقفين
ورأيهم في الحروب بشكل عام ٠

وقد تنوع انتاجه بعد هذه المرحلة ، فبدأ بديوان شعر - بعد
انقطاع طويل - أسماه « بعض زوايا القلب » ثم كتب رواية بعنوان
« النور في الهاوية » ثم « أحاديث محارب » ثم رواية « الجلاطون »
تكتاب « الاغلال » الذي ظهرت فيه آراؤه السياسية لأول مرة ،
وهو كتاب ضخم يؤرخ لصراع الطبقات عبر التاريخ في معظم أنحاء

العالم ، ويتسع هذا الكتاب المثير لدراسة انسانية اسمها «الحقائق»
ثم لبيانته الشهير « الى المثقفين » ٠٠

وفي عام ١٩٣٢ اصدر ما عكف عليه منذ سنوات ، كتابين عن
« زولا » و « جوته » ٠

وفيما عدا التأليف الخالص عمل « باربوس » بالصحافة منذ
مطلع عام ١٩٠٨ ، وبعد سنتين فقط تولى رئاسة تحرير مجلة «أعرف
كل شيء» ٠٠ بعدها رشح لعضوية مجلس تحرير جريدة «لومانيتيه»
ولكنه اصدر عام ١٩٢٠ مجلة شهرية ، هى التى تحولت فيما بعد الى
الجريدة المسائية المعروفة « لوموند » ٠

وفيما عدا التأليف الخالص والصحافة الأدبية كان « باربوس »
خطيبا ، يخطب في الناس ، لا فرق عنده بين اجتماعات عامة وتجمعات
ميدانية ، وفي كل الأحوال كان يدعو الى نبذ الحروب ونزع السلاح
ومعاداة الاستعمار ، مؤمنا بما اسماه « الدولة العالمية » منشئا
تجمعا ضم كل الكتاب الأحرار المناهضين لعبودية الانسان الداعين
لانتصار الشعوب وهو ما سمي باتحاد العقليين ٠٠

ولم يكتف بذلك ، فرأس جمعية أخرى لمكافحة النازية والفاشية
عام ١٩٣٣ ٠٠ واشترك في جمعية استقلال سورية ولبنان ونادى
بتحرير باقى الدول العربية والهند وعدد من الدول الافريقية ، حتى
انتهى به المطاف الى عقد « المؤتمر الثقافى العالمى » بباريس عام
١٩٣٥ ٠

ولا غرابة في اتخاذ « باربوس » لكل هذه المواقف ، فقد جند
فور اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وحارب بشجاعة فائقة ونصب
عينيه السلام ، فمنح وسام « صليب الحرب » بعد أن جرح أكثر من
مرة جراحا غائرة وخطيرة وخاصة خلال معارك « ارتوا »

و « بيكاردى » عام ١٩١٦ ٠٠ وأعطى من الجندية في العام التالى ، ولكن اموال الحرب وويلاتها تركت في نفسه أثارا بليغة ، ابلغ بكثير من جراحه ٠٠ حتى أنه أطلق على قرننا العشرين لقب « عصر الدماء » بعد أن سجل شهادته في مجموعة قصص قصيرة أسماها « شهادته بنفسى » ورواية أسماها « المؤخرة » تعد من بواكير الرواية العلمية ، إذ تخيل عالما وقد غمره الغاز الذى يجمد كل شيء بما في ذلك الانسان نفسه ، بحيث لا يقدر على الحركة ولا على دفع الموت الخاطف دون أن يفرق بين حاكم ومحكوم أو بين ثرى وفقير ٠٠ وكان « باربوس » المعروف بعدائه للقوى المتسلطة يستدعى في داخله « شمشون » وصيحته المدوية الشبيهة « على وعلى أعدائى » ٠

وتوفى « هنرى باربوس » بعد معاناة في مستشفى « الكرملين » فى السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٣٥ ، عن عامين فوق الستين ، وقد فقد فيه الأدب أدبيا متميزا ، وفقد فيه الفكر مفكرا يارزا ، وفقد فيه الانسان العالمى زعيما من أكثر الزعماء دفاعا عن حريته وخالصه ٠٠

ساروت ٠٠ في القاهرة

جاءت الى القاهرة الكاتبة الفرنسية « ناتالى ساروت » كبيرة كتاب « الرواية الجديدة » في فرنسا ، بدعوة من « الجامعة الامريكية » لالقاء سلسلة من المحاضرات عن « الرواية » ٠٠ وفي ختام زيارتها الاكاديمية والسياحية دعاها الأستاذ يوسف السباعي باسم « الاهرام » الى « غداء ثقافى » اشرف عليه الدكتور لويس عوض الذى دعا عددا مختارا من اهل الفكر والفن لمصاحبته واتيح لى ان اقدم لها الترجمة العربية لأول كتبها « انفعالات » فمن هى ناتالى ساروت ؟

ولدت ناتالى في الثامن عشر من يوليو عام ١٩٠٢ ونالت ليسانس الآداب والحقوق من السوربون وعملت بالمحاماة حتى عام ١٩٣٨ وكانت قد تزوجت من المحامى الفرنسى ريمون ساروت عام ١٩٢٥ وأنجبت ثلاث فتيات ٠٠ وما أن وضعت كتابها الأول « انفعالات » حتى هجرت المحاماة في نفس العام ١٩٢٩ ٠٠ وكتبت ساروت بعد ذلك خمس روايات : « صورة مجهول » ١٩٤٨ ، قدمها سارتر ، و « مارتير » ١٩٥٣ و « الكوكب السيار » ١٩٥٩ ، و « الفاكهة الذهبية » ١٩٦٣ ، نالت عنها جائزة الأدب العالمية الرابعة ، و « بين الحياة والموت » ١٩٦٨ ٠٠ كما أصدرت كتابا نقديا بعنوان « عصر الشك » ١٩٥٦ – فتمت بترجمته الى العربية أيضا – وكتبت تمثيلات اذاعية أهمها « الصمت » و « الكذب » ومسرحيات من ذات الفصل الواحد أهمها « أسما » و « هل تسمعونهم » .

وماذا عن الرواية الجديدة ؟

بدأت الرواية الجديدة طريقها بظهور « انفعالات » ساروت ثم ظهرت « صورة مجهول » لنفس الكاتبة ٠٠ وبعد ذلك زحف الركب وتقدم الموكب بحسب الترتيب التاريخي كل من « كلود سيمون » و « مارجریت دوراس » و « صمويل بيكيت » و « روبير يانجيه » و « آلان روب - جرييه » و « ميشيل بيتور » و « كلود موريك » و « فيليب سوللير » ٠٠ وقد أعلن كل هؤلاء ثورتهم على الرواية التقليدية بدءا بالزمن ثم بالغاء الفعل والفاعل وكل ما هو حي والتمسك فقط بالاشعور واللا وعى وكل ما هو جماد أو شيء ٠٠ فالرواية الجديدة تصف الشيء كما هو متجاهلة تماما الشخصية والحبكة والمضمون لأنها ترى أن الشخصية البطولية نزعة بورجوازية والقصة المنطقية استقرار غير واقعي والتفرقة بين الشكل والمضمون تفرقة زائفة ٠٠

وتنقسم الرواية الجديدة الى مدرستين الأولى تسمى مدرسة « النظرة » بقيادة روب - جرييه وبيتور ودوراس يتخذون من « فلوبيير » رائدا ، والثانية تسمى مدرسة « الباطنية » بقيادة ساروت ومثلها الأعلى ، وبيكيت ومثله الأعلى جويس ٠٠

ويرى البعض أن الرواية الجديدة أن هي الا تعبير حضارى عن حالة حضارية ، تعبير لا معقول ولا منطقى عن حالة الغربية والضياح واللاجدوى التى عاشها انسان ما بعد الحرب العالمية الثانية فرواية الخمسينات قد عبرت عن أزمة انسانها فى إطار تقليدى وهامى الرواية الجديدة تجيء لتوائم بين الشكل والمضمون حتى تكون أكثر اتساقا ٠٠ فإن بدت غير متسقة فتلك هي غايتها ، التعبير عن عدم اتساق الكون بما فى ذلك الانسان عن طريق تحطيم العلاقات المنطقية بين الاشياء ، واهدام شخصية الانسان والغاء وجود الزمن وتفكيك سلسلة الاحداث وتفتيت روابط اللغة ٠ ثم احلال الاشارة والحركة والصمت بدلا من الكلمات أو وضع هذه الكلمات بطريقة

متناثرة ضائعة لتعبر أصدق تعبير عن الإنسان الذي تعنيه ، الإنسان ذلك الغريب الضائع ..

ومفتاح الرواية الجديدة كما يقول « روب - جرييه » هو الشخصية التي ليس لها ماضٍ ولا قدر ولا أعماق .. ولكنها شيء في سبيل الاكتشاف لا يتكون إلا في رأس القارئ بوصفه الشخصية الوحيدة الحية في الكتاب .. فكيف يمكن للقارئ أن يقتحم عالم الرواية الجديدة بدون هذا المفتاح وخاصة إذا كانت سلسلة الأفكار القديمة لا تزال تسيطر عليه ، مثل الموضوع الذي له بداية ووسط ونهاية . والعقدة التي تتكون وتنفرج بعد أن تكون قد وصلت إلى الذروة . والشخصيات الواضحة المعالم التي تكاد تكون انماطاً .. أن لغة الرواية الجديدة في الواقع هي « لغة الصمت » فكيف يمكن أن يقرأها من لم يتعلم حروفها بعد ؟

سارتر مثلاً أطلق عليها مصطلح « ضد الرواية » وعرفها بأنها تقدم روايات خيالية شخصياتها وهمية ..

ولكن تعريف سارتر لا يعنى أن الرواية الجديدة قد نبذت القيم والمبادئ والأخلاق .. والدليل تخطى سارتر تحليل المشاعر إلى وصف الانفعالات ذلك أنها تغوص في الواقع الداخلي لتستخرج رواسب الماضي والحاضر والمستقبل من أحشاء اللاشعور فنستخدم العبارة المتصلة ولكنها تنثر الكلمات القصيرة أحياناً والمتقطعة أحياناً أخرى تعبيراً تلقائياً عن انطباعات حية وديقة معا .. وتتمتع سارتر بحاسة النفاذ إلى خلايا الإنسان الحية ولهذا تظل كتبها « صعبة » و « شيقة » في الوقت نفسه على الرغم من تطويرها سيكولوجية دوستوفسكي إلى ما يمكن تسعيته بما وراء التحليل النفسي .

تقول ناتالى ساروت « الرواية فن يستهدف أحداثاً تؤدي إلى تغيير في شعور القارئ » .. هذا التغيير يتمثل في تلقى كل ما هو

بورشيه ٠٠ وعيد ميلادها المنوى

بدأت حياتها ممثلة على خشبة المسرح فاثرت فى جيل فنى
بأكمله ٠٠ ثم اتجهت الى الأدب فكتبت خمس مسرحيات عرضت
جميعها واشتركت فى معظمها وهى « أميلى برونتى » و « المنزول الى
الجحيم » و « الشجيرات البيضاء » و « الملك » و « سيدتان وخادم »
كما كتبت أربع روايات نالت عنها « جائزة الاكاديمية الفرنسية »
لأنها تعد علامة على طريق « الادب النسائى » وهى « الفوضى »
و « أيام الغضب » و « الجنة الأرضية » و « الحفل المتأجج » ٠٠
وبعد أن بلغت السبعين اتجهت الى كتابة المذكرات فنشرت تجاربها
بأسلوب أقرب الى الرواية مثل « تحت شمس جديدة » و « الرواية
الأخرى » و « ماتبقى من القول » ٠٠ وبعدها تفرغت لمعاونة زوجها
« فرنسوا بورشيه » فى عمله الصحفى كسكرتير تحرير لأحدى
المجلات الفنية الأسبوعية فاهتمته الكثير من الأفكار المبتكرة ، هى
التي المهتم من قبل مجموعة كبيرة من الأدباء مثل « هنرى باتاى »
الذى أهداها مسرحيته « الابتهاج » ومثل « ستيف ياسور » الذى
أهداها مسرحيته « المشتري » ومثل « الان فورنييه » الذى أهداها
روايته « مون الكبير » والتي عرضت على شاشة السينما ٠٠

ونتيجة لجهودها وخبرتها اختيرت عضوا بلجنة « جائزة
فيمينيا » التى لا تضم غير النساء ولكن لم يفز بالجائزة نفسها حتى
الآن غير الرجال ٠٠ كما اختيرت لتقديم برنامج أسبوعى لراديو
باريس تتحدث فيه عن فن المسرح وخبرتها فى هذا المجال الحيوى
الهام ٠٠

جديد وحى بصرف النظر عن الاهتمام بالمغزى أو بالحكمة أو بأى شىء آخر ٠٠ أن ما يميز الرواية الجديدة ، ليس طموح التقليديين ومقدرتهم على الخيال ، ولكنه الرقص الذى نواجه به الواقع ، ٠٠

والواقع أن الرواية الجديدة تعد نهاية لحركة استمدت رؤاها من الوجودية كمذهب انسانى وفكرى ٠٠ ولما كانت هذه الرواية الجديدة قد جاءت لتعبر عن عبث الوجود بعد ما أصيب بانتكاسته الكبرى التى تمثلت فى الحرب العالمية الثانية فان عودة الحياة الى طبيعتها تتطلب قيام أدب « يبنى » بديلا عن هذا الأدب « المخور » الذى اسكرته وكان لابد أن تسكره ، صدمات تلك الحرب اللاانسانية المروعة ٠٠ فإذا خفت صوت الرواية الجديدة بعد نصف قرن من العطاء ، فهذا ايدان بأن رواية جديدة أخرى فى طريقها للميلاد .

وعندما بلغت « سيمون » عامها التاسع والثسعين - وكان
هام المرأة العالمى - عكفت على اعداد كتاب ضخم بعنوان « وصيتى
الجديدة » يضم كل خبرتها فى الفن والحياة ٠٠ وقد صدرت هذه
الوصية فى مناسبة عيد ميلادها المئوى الذى احتفلت به الأوساط
الفنية والأدبية فى فرنسا ، وامتد هذا الاحتفال الى عدد كبير من
دول أوروبا ، وكان علينا أن نشارك فيه ولو بالتعريف بهذه المرأة
التي استطاعت أن تساهم بجهد وفير فى خدمة الأدب والفن أو
المجتمع الانسانى بصفة عامة وفى خدمة مجتمعها أو مجتمع المرأة
بصفة خاصة لأنه المجتمع الذى تنتمى اليه ، بنظرة موضوعية
وليست متحيزة .

ماييه ٠٠ الروائية الاولى فى كندا

انطونين ماييه ، ولدت وتعيش فى مقاطعة « الاكادى » الكندية ٠٠ وهى المقاطعة الفرنسية التى تقع على الاطلنطى وعاصمتها اننا بوليس - بعد أن كانت بورويال - وقد انشئت عام ١٦٠٤ عن طريق الفرنسيين النازحين بقيادة « شامبلن » .

عملت « انطونين » بالتدريس الثانوى والجامعى ، لتعلم الناس أولا من خلال العلم ثم من خلال الادب ٠٠ ولكى تكسب عيشها من التدريس - كما تقول - لمستطيع ان تنفق على الادب ، فالادب فى وطنها لا يكسب عيشا .

وهى الروائية الاولى واول روائية ، لان الاكاديميين ليس لهم تراث مكتوب أو مدون ، فقد عرفوا الآداب والفنون شفويا بالوراثة والتوارث ٠٠ وهكذا جاءت روايتها الاولى « بيلاجى لشاريت » تفسيرا لظاهرة التوارث هذه ، ليس فقط فى الادب والفن ولكن فى العادات والتقاليد أيضا ٠٠ فالتاريخ يقول ان عام ١٧١٣ شهد صراعا دمويا من ناحية وصراعا آخر على موائد المفاوضات بين فرنسا وانجلترا حول ملكية كل منهما للمنطقة . أما السكان أنفسهم فقد أدركوا منذ البداية انهم اصحاب الأرض الحقيقيون وانهم يدفعون ثمن الاحتفاظ بها .

تقول انطونين : « وجودنا ذاته وحياتنا والموت والميلاد ، مزيج من الأشياء الملموسة والأشياء التى تستغل على الفهم ، وبالتالي نلوذ بالخيال أو نلجأ الى الاساطير » .

ورواية انطونين الأشهر ، تحمل اسم « ساجوين » ٠٠ شغالة

كُل الشغالات ، تبلى السبعين من عمرها ، أصابها المرض ولكنها تواصل العمل حتى تعيش .

تقول ساجوين : « المرض فى بطنى ٠٠ والبطن هى البداية وهى النهاية ٠٠ منها نولد وبسببها نموت » انها تحكى حكاية شعب ، ولذلك جاءت الرواية على شكل مونولوج ٠٠ ولأن ساجوين كانت ماهرة فى تنظيف الأرضية ، فقد كانت تمشى على أربع ولكنها كانت - مثل كل شعبها - مرفوعة الهامة ٠٠ تقول « لست كندية ولا فرنسية ولا أمريكية ، أنا أكادية ، لان الأكادى ليس بلد ولكنه شعب ٠٠ »

وعلى الرغم من أن انطونين الروائية ، امرأة ، وبطلاتها « بيلاجى » و « ساجوين » و « ماريا » من النساء ، الا أنها ترفض إطلاق تعبير « الادب النسائى » على كتاباتها ، وتقول ، ليس أدبا نسائيا ، ولكنها الحقيقة ، فالرجال اما قتلوا أو سجنوا أو هربوا ، وبقت النساء ٠٠ والرجال يذهبون للصيد ويفيئون بالاسابيع ، وتبقى النساء .

ومع هذا أخذ جيل جديد من الشباب الراعى الواعد يشقى طريق الادب من خلال الرواية والقصة والشعر والمسرح ٠٠ لأن « انطونين هاييه » تعد حاله استثنائية وسط حالة استثنائية عاشها جيلا ، جيل بأكمله ٠٠ فقد ولدت فى أسرة تهوى الثقافة ٠٠ والدها باع أرضه من أجل تعليم أبنائه ٠٠ وتعلمت « انطونين » فى بلد لا يعرف ولا يعترف بتعليم البنات ٠٠ وكانت قد قررت منذ البداية أن تصبح كاتبة ، أول كاتبة فى وطنها ، خاصة وأن الكثيرين ظنوا يحلمون بكتابة تاريخ هذا الوطن ، وعلى رأسهم أمها التى كانت تعلم وحدها أن أول كاتب سيكون من قريتها « بوكوش » . وكما كانت سعادتها عندما تحققت نبوءتها التى فاقت كل أحلامها ، فان ذلك الكاتب المنتظر قد ظهر فى حياتها وكان هو ابنتها « انطونين هاييه » الروائية الأولى فى كندا ٠٠

أجاثا ٠٠ امرأة ساعدها الحظ

« لم أهاجأ بشيء قدر مفاجأتى بالشهرة التى وصلت اليها، وإن كنت أتمتع حقاً بذلك حاد وأقبل على العمل بجهد وأحيا حياة المرأة البسيطة التى لاقت كثيراً من حسن الحظ ٠٠ ، »

هكذا قالت « أجاثا كريستى » فى كتابها الأخير « قل لى كيف تعيش ؟ » وهو شىء آخر ومختلف تماماً عن الرواية البوليسية التى تخصصت فيها الكاتبة وحققت شهرتها من خلالها ، فالكتاب أقرب الى « أدب الرحلات » والى « السيرة الذاتية » فى الوقت نفسه ٠٠ و « أجاثا كريستى » التى توفيت عام ١٩٧٦ عن خمسة وثمانين عاماً وثمانين رواية بوليسية وثروة تقدر بعشرة ملايين جنيه استرلينى ، اسمها الحقيقى « مارى كلاريسا أجاثا ميللر » فولدها فريدريك ميللر كان من اثرياء نيويورك ، تزوج فى رحلة الى انجلترا من سيدة ترعى الاطفال وتعلمهم مبادئ الدين رغم انها غيرت دينها الاصلى خمس مرات ، فقد كانت كاثوليكية المولد ولكنها وصلت الى حالة من الصوفية التى تتصل بالخالق مباشرة .

انجبت هذه السيدة المؤمنة ابنتها « أجاثا » عام ١٨٩٠ ، وبعد احد عشر عاماً توفى الزوج الأمريكى وأخذت الأم تقرأ لابنتها مغامرات شرلوك هولمز ، بينما كانت الابنة مشغولة بالغناء الأوبرالى لتمتعها بصوت جميل دون أن يكون صوتاً قويا ٠٠ وفى عام ١٩١٢ التقت « أجاثا » بطيار اسمه « ارشيبالد كريستى » تزوجته وحملت اسمه ولكن الحرب فرقت بينهما ٠٠ ذهب هو الى جبهة القتال وعملت هى متطوعة فى أحد المستشفيات العسكرية ٠٠ فى هذا المستشفى

تعرفت « اجاثا » لأول مرة على السموم الفتاكة ودرست كل مايتعلق بها ، كيف تقتل ، ومن تقتل ، ولماذا تقتل ؟ .

وفي احدى الحفلات الاجتماعية الكبيرة عاشت « اجاثا » أحداث جريمة قتل تمت بدس سم زعاف فى الطعام ، فعادت الى مراجعها العلمية وكتبت أول رواية بوليسية لها وهى المعروفة باسم جريمة الحفل وقدمت « اجاثا » روايتها الى أكثر من ناشر ولكنهم جميعا رفضوها واستنكروا موضوعها وأسلوبها أيضا . الى أن اتصل بها مدير دار نشر « بودلى هيد » فى اعقاب التدريب وسالمها عقدا ومبلغا يقدر بخمسة وعشرين جنيها ، مما دفعها بعد ظهور روايتها الأولى الى كتابة روايتين تولى الناشر نفسه نشرهما وهما « مستر براون » و « جريمة الجولف » .

وفي عام ١٩٢٦ اصدرت « اجاثا » رواية «مقتل روجيه اكروييد» التى حققت شهرة كبيرة ووضعتها على بداية الطريق جنبا الى جنب ابنة اسمتها « روزالند » وسيارة صغيرة وناشر جديد اسمه « كولنز » .

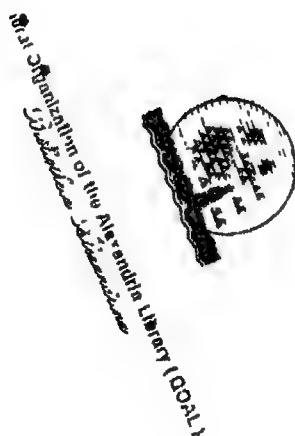
ولكن احداثا مفاجئة ومتلاحقة تكاد تودى بالروائية المشابة وهى بعد على أولى درجات سلم النجاح والمجد . ماتت امها على اثر أزمة قلبية وانفصل عنها زوجها وفقدت ابنتها الثانية « موريس » دون أن يعثر لها على اثر . ومع هذا لم تقل شيئا حتى مذكراتها التى ظهرت بعد وفاتها بعام واحد .

وتغر الأعوام دون أن تمسك « اجاثا » بالقلم ، الى أن تلتقى عام ١٩٢٠ فى مدينة بغداد بالعالم « ماكس مالروان » وتزوج منه وتعود الى الكتابة وفى رصيدها رواية ترجمت الى عدة لغات .

تقول « اجاثا كريستى » مستغربة « اعتدت الا افكر فى رواية
جديدة الا وأنا آخذ حمامى ومستلقية تماما فى البانيو ، اقضم تفاحة
حمراء » .

والغريب اكثر انها كانت تدخل الحمام عندما تتعثر الاحداث
على قلمها لتخرج منه بلفظ جديد او بحل للعرشائك ...

وقد قامت « اجاثا » بزيارة الى كل من سوريا ومصر مع
زوجها الاخير الذى اضافت اسمه الى اسمها حتى بعد ان نالست
شهرتها ، فاصبح اسمها الثلاثى « اجاثا كريستى ماللوان » بهذا
الاسم كتبت فى سوريا « الموت ليس نهاية » وكتبت فى مصر « موت
على النيل » التى تحولت الى فيلم سينمائى امريكى ...



بيلو ٠٠ الفائز بجائزة نوبل

يقول هنرى براندن « ان مظهر الكاتب الأمريكى « صول بيلو » ونظراته الثاقبة تجعله يبدو جريئاً ومقداماً وان علت وجهه ابتسامة رقيقة ٠٠ وهو لهذا يختلف عن بطل روايته الشهيرة أو أشهر رواياته « هيرزوج » ٠٠

و « هيرزوج » هى خامس أعمال الكاتب وليس آخرها ، تليها فى الشهرة والانتشار رواية « صانع المطر » التى نشرت قبلها بسنوات ٠٠ و « هيرزوج » مدرس متواضع نشر كتاباً حقق له شهرة كبيرة ظل يعيش عليها رغم أنه محارب قديم ، ولكن فى معركة الحياة ، ومعركة الحياة الزوجية بصفة خاصة ،

فقد تزوج مرتين وخلف له الزواج متاعب كثيرة اقلها ابنته الصغيرة ، يجتنب ٠٠ والواقع ان ذكريات هذا الزواج الغريب هى التى تشكل النسيج الحقيقى للرواية حتى ان السياق لكثرة اتساقه وصدقه يوحى بأن الاحداث واقعية ، وقعت للكاتب نفسه ٠٠ ويتساءل هيرزوج هذا من حين لآخر عما اذا كان مضايًا بالجنون ، حتى يقنع نفسه فى النهاية أنه مجنون بالفعل ٠٠ ومع مظاهر هذا الجنون أو هذا الاقتناع بالجنون ، تلك الرسائل الغريبة التى يرسلها بلا كلل الى الرئيس الأمريكى بالبيت الأبيض والبابا والفاتيكان والفيلسوف الوجودى هيدجر فى قبره ولأشخاص مجهولى الأسماء والعناوين وتنتهى الرواية فى ليلة موحشة من ليالى الشتاء ، خرج فيها هيرزوج ليطوف حول بيت زوجته الاولى ومسدسه بيده ، ويظل

هكذا حتى يطلع النهار لتكون احدى السيارات العابرة قد صدمته
فيسقط صريعا امام بيت زوجته وأم ابنته الوحيدة .

وهكذا تبدو الرواية ترجمة ذاتية للكاتب فيما عدا حوادث
الموت الا انها ليست كذلك .

و « هيرزوج » رواية فكرية ولكنها لا تنتمى الى الأدب الأمريكى
فم، شيء ، فيظل صول بيلو يمر بأزمة طاحنة ، تركته زوجته بعد أن
جردته من كل شيء حتى من ابنته ، وزوجته الثانية هجرته بلا سبب
والجامعة طهرته وطردته بلا واقعة ثابتة . . ويمكن القول بأن
« هيرزوج » مجرد كتاب مختصر فى الفكر قصد به « بيلو » اذهال
القارئ الأمريكى العادى بوضعه امام ثقافة رفيعة تتمثل فى
تلخيص فلسفة كانط وهيدجر وغيرهما . . كما يمكن القول بانها
« لا رواية » أو « ضد الرواية » وهى المصطلح الذى شاع أخيرا فى
أعقاب استقرار « الرواية الجديدة » فى فرنسا .

هذا عن « هيرزوج » أهم روايات « صول بيلو » . . فماذا عن
أهم آراء « صول بيلو » ومواقفه ؟

يثير « بيلو » قضية من أهم القضايا رغم قدمها وهى قضية
الالتزام . . فمن هو الأديب الملتزم ؟ وبأى شيء يلتزم ؟ وما هى
العلاقة بين الالتزام والحرية ؟ وهل هناك أديب لا ملتزم ؟

وبرغم اجابات « جان بول سارتر » على هذه الأسئلة فى
كتابه « ما الأدب ؟ » الصادر عام ١٩٤٨ ، الا ان « صول بيلو » له
آراء جديدة وجريئة معا نلهمسا فى رواياته الأخرى الى جانب
روايتى « هيرزوج » و « صانع المطر » وأهمها رواية « مغامرات
أوجى مارسن » ، التى نال عنها جائزة ايوارت وجائزة فورمنتور .

فصول بيلو يرى ان الكاتب حر فى أن يلتزم وفى الا يلتزم

وليس النقد بوصى عليه مهما كانت حججه ٠٠ ثم يندد « بيلو »
بديكتاتورية الأساتذة والنقاد وتأثيرهم على الأدب ، فهو يرى أن
كل صاحب نظرية وكل معتنق لمذهب لا يتعرض بالنقد لعمل ما أدبيا
أو فنيا الا وحاول أن يلف فيه على كل ما من شأنه تجريح هذا العمل
أو ذاك ، ولا يمتدح العمل الا اذا وجد فيه ما يخدم قضاياه ، وكان
النقد يريد بذلك أن يسخر الكتاب والفنانين لخدمة معتقداته هو ،
بل يصل الى حد الالتزام بترويج هذه المعتقدات والدفاع عنها ٠٠
وعند « بيلو » أن مهمة النقد هي دراسة العمل وتحليله بناء على
أسس ونظريات نقدية لا تدخل في دائرة السياسة ولا الدين
ولا الاخلاق ولا حتى النظم الاجتماعية ، هذه الأسس وتلك النظريات
هي اصلا قائمة على الخلق والابداع الذي يخضع لعلم الجمال .

ولكن مافات « صول بيلو » هو أن بعض هذه النظريات النقدية
قائمة بالفعل على علم الجمال ، ولكنها قائمة أيضا على أسس
اجتماعية وسياسية بصفة خاصة ٠٠ وتاريخ الأدب حافل بما نطلق
عليه « الواقعية » و « الواقعية الاشتراكية » ولكن « بيلو » يعود
فيهاجم المثقفين بصفة عامة و « الواقعية العلمية » و « الطبيعية »
وهكذا ٠٠ رغم اعترافه بأنهم « نخيرة المجتمع وحماة الدولة » ٠٠
وهو يهاجمهم بحجة أنهم مغرضون وأن لهم اطماعا فكرية تدعو الى
الخوف منهم وعدم الثقة في آرائهم رغم احترامهم وتقديرهم .

وبهذا يعلن « بيلو » عن التزامه واعترافه بضرورة الالتزام ،
ولكنه الالتزام الحر - على حد تعبيره - فهو التزام لا يمس حرية
الفكر والمفكرين ولكنه لا يتعارض ابدا مع معايضة الحياة المعاصرة
والصدور عنها بكل ما فيها من مشاكل وقضايا وامانى واحلام .

يقول « صول بيلو » نحن لا نريد مثقفين سلبيين كهؤلاء الذين
يتخذون اماكنهم في دور العلم أو في مجالات النشر المختلفة ، وانما
نريدهم ثوريين أولا ومثقفين بعد ذلك .

ويرى « بيلو » ان أدباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا على معرفة حقيقية بالمشاكل الاجتماعية ٠٠ أما أدباء القرن العشرين فقد تركوها لمن يعملون في مجالات التخصص ٠٠ ولذلك نادرا ما نجد أدبيا من أدباء العصر يعالج مشكلة الحرب أو مشكلة الكفاح من أجل المساواة وإذا تحقق هذا الشيء النادر وتكلم أحدهم عن مشاكل العصر فهو لا يضيف جديدا . بل يكون حديثه انعكاسا لوجهات نظر الطبقة التي ينتمى إليها ٠٠ أما مشكلة المشاكل فهم انصاف المثقفين - ان صح هذا التعبير - فهو لا قادرون على تضليل الجمهور وتشويه الذوق العام خالقين بذلك مستويات مزيفة ومفاهيم خاطئة ٠٠ وهكذا يتغير وضع الكاتب . فلم يعد هو ذلك الشخص الذى يبرىء الأرواح ويشفى النفوس كما كان فى القرن التاسع عشر ، بل هبط مستواه الى مجرد موظف روتينى فى صفحة الأزياء بالجريدة أو مجرد ناصح للعشاق والمراهقين ٠٠ ولا يعتقد « بيلو » - ولا نعتقد - ان هذه هى رسالة للكاتب الحق على الرغم من أن كثيرين يقبلون على هذه الأشياء ليصبحوا شخصيات جماهيرية مشهورة .

ويتعرض « بيلو » لناهج التدريس فى المعاهد والجامعات مبينا ان التقليد الراسخ طريق خاطئ لأن التركيز على اعلام الأدب والفن فى العصور المنتهية دون الاهتمام بالعصر الحالى شيء من شأنه ابعاد الجيل الجديد من المتعلمين عن تيار العصر بمشكلاته وقضاياها ، وليست حجة عدم دراسة الأديب أو الفنان الا بعد موته حتى تكتمل أعماله ويصبح ملكا للتاريخ بالحجة التى يعمل لها أى حساب ، فجامعة السوربون تعمل بهذا المبدأ فى الدراسات العليا وحدها ولا ترتبط به فى السنوات الأولى حتى الليسانس .

ولا يتردد « صول بيلو » الأديب الأمريكى فى اعلان فكره الاجتماعى وهدفه الانسانى وهو التعايش السلمى وقرار السلام

والحرية فى عالم يحيا على أعصاب منهارة تتهدده القنبلة الذرية
ويصدمه الخوف من تهوّر بعض السياسة والحكام ، أولئك الذين
يسيطرون على الميزان الدولى ويستندون الى القوة الغاشمة
ويعتمدون على الأسلحة الذرية الملائسانية .

أن الخلاص - كما يرى بيلو - لم يعد فى يد السياسة والحكام
بقدر ما هو بيد الأدباء والفنانين . فسلح المستقبل هو الكلمة
والنقمة والصورة . من أجل الخير والحرية والسلام .

هذا هو « صول بيلو » الكاتب الأمريكى الحاصل على
جائزة نوبل العالمية للأدب . وهذه هى مبررات فوزه بالجائزة .

وفى التليفزيون وعلى صفحات بعض الجرائد أثبتت على
صعيد النقد والأدب العربيين قضية الالتزام الأدبى وما يدور حول
هذه القضية من أسئلة وتساولات : من هو الأديب الملتزم ؟ وبأى شىء
يلتزم الأديب ؟ وماهى العلاقة بين الالتزام والحرية ؟ وبين الالتزام
والالتزام ؟ وماهى مواصفات الأدب الملتزم ؟ وهل هناك أديب لا ملتزم
.. لا ملتزم بماذا ؟ وكلها أسئلة أو تساؤلات قديمة بطبيعة الحال .
قديمة لأن تاريخها يرجع الى صدور كتاب « ما الأدب ؟ » عام ١٩٤٨
للفيلسوف الوجودى جان بول سارتر أكبر من طرح قضية الالتزام
للمناقشة وأروع من تقدم فيها برأى حتى الآن ، ومؤدى رأيه أن
الالتزام هو التعمق فى وعى العصر بما لا يتعارض مع الخلود ،
فالمسائل الموقوتة والقضايا المحلية لا تموت بانتهاء العصر كما يظن
البعض . والكتابة ، داخل اطار الالتزام ، هى كشف للعالم ولجوء
الى ضمير الآخرين ، إذ لا يحال برسومها وأشكالها وانغامها على
مدلول آخر كما هى حال الأدب ، أما التصوير والنحت والموسيقى ،
فهى فنون ليست مطالبة بالالتزام ، ذلك أنها أدوات لا يمكن أن
تتساوى بالكلمات .

وليس المهم ان يعاد الكلام فى قضية الانتزام مرة أخرى ولكن المهم هو الدلالة الثقافية والاجتماعية التى دعت الى اعادة النظر فى هذه القضية القديمة من جديد ٠٠ لا على الصعيد العربى فحسب، بل وعلى الصعيد الاوروبى أيضا ٠٠

فقد طرح ملحق « الفيجارو ليتيرير » آراء عديدة وموضوعات اضافية عن الصراع الدائر بين النقد القديم أو التقليدى والنقد الجديد أو الحديث ، فعرضت وجهات النظر المختلفة فاردة لها صفحاتها ٠٠ من أهم هذه الآراء التحليل الذى قدمه ريمون بيكار مؤلف كتاب « نقد جديد أم خداع جديد ؟ » وكذلك تفسير رولان بارت مؤلف كتاب « نقد وحق » ٠

كما قدم الملحق الأدبى « للتايمنز » تحليلا كاملا للكتابين معا وعرضا وافيا لكتاب سيرج دوبروفسكى « لماذا النقد الجديد ؟ » ٠ ومنذ فترة ، عقد نادى بان مؤتمره الدولى الرابع والثلاثين وفيه نزل الكاتب الأمريكى الكبير صول بيلو بضربته القاضية على الأساتذة والنقاد الذين يتحكمون فى الأدب والادباء ٠ ما الذى قاله صول بيلو ؟

قال ان الكاتب أو الفنان حر فى ان يتبنى قضية أو يدافع عن مبدأ أو يعضد نظاما ، وحر كذلك فى ان يؤمن بنظرية « الفن للفن » أو « الفن للحياة » أو « الفن لله » ٠

فمن حيث يصدر الكاتب أو الفنان ينطلق الناقد ، لأنهما ان لم يقفا على قاعدة واحدة أصبحا متباعدين تباعد طرق الصحراء أو شاطئ البحر ٠٠

هؤلاء المثقفون ، ويقصد بهم الأساتذة والنقاد ، هم ذخيرة

المجتمع وهم حماة الدولة ، غير أن اطماعهم الفكرية تجعل الخوف منهم يقف جنبا الى جذب مع احترامهم ٠ فاذا كان ينظر اليهم وحتى الى الطليعيين منهم فى فجر الحرب العالمية الثانية على انهم لا منتمون ولا مهتمون وقليلو الاكثرات فان الوضع اليوم قد تغير ، وأصبح الطليعيون وحتى « التأخريون » مسئولين مسئولية كاملة تجاه الأدب والأدباء وتجاه الفن والفنانين وتجاه المجتمع ونظمه وتجاه الدولة وبنائها وتجاه العالم وسلامه وتجاه الانسانية كلها ٠

وهكذا نجد أن صول بيلو الذى بدا فى بداية حديثه وكأنه كاتب غير ملتزم ، الا أنه سرعان ما عاد ، وقبل أن يستكمل هذا الحديث ، ليكشف عن كاتب يتربع فوق قمة الالتزام ٠٠ هذا الالتزام الذى يعنى به معاشية الحياة المعاصرة والصدور عنها ، كما يعنى به عدم المساس بحرية الفكر والمفكرين ٠٠

وكما تعرض بيلو لمناهج التدريس تعرض كذلك للأساتذة ، هؤلاء الذين يخرجون أجيالا متعاقبة من الشباب ينتشر فى القطاعات الثقافية عاملا بالتدريس أو مشتغلا بالكتابة أو متمرسا بالصحافة أو « موظفا » بدور النشر أو « موزعا » على أجهزة الأعلام هؤلاء الأساتذة يخلعون تأثيرهم بالكلاسيكيين المحدثين : جويس وشو وبروست واليوت ولورانس وفاليرى ٠٠ على هذه الأجيال التى تؤثر بدورها على الجيل المعاصر وما بعده من أجيال ٠

ولكن ، هل يصل فهم أولئك هؤلاء جميعا الى الدرجة التى تسمح لهم بالحصول على لقب « مثقفين » كما حصلوا على لقب « خريجين » ؟

يقول صول بيلو ان الجامعات تخرج الافا مؤلفة من المؤهلين ولكنها مع هذا لا تخرج غير عشرات من انصاف المثقفين الذين يستكملون نصفهم الثقافى الآخر بعد تخرجهم من الجامعة وبعد

ممارستهم للحياة الأدبية ، مع مراعاة أن النصف الأول لم يحصلوا من الجامعة بقدر ما حصلوه من جهودهم الفردية وقراءاتهم الخاصة . وهذا راجع الى المناهج والأساتذة . فالمنهج مكسدة وغير وافية والأساتذة مجرد « ناقلين » أو « شراح » ، ويبقى الخلق للنقاد خارج منابر العلم .

وأعلن بيلو وسط ٥٠٠ عضو يمثلون ٥٥ دولة أن تعليم اللغات الحية أفضل وأنفع من اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات القديمة الا بالنسبة للمتخصصين ، والمتخصصين جدا ، فالدارس يضع وقته في تحصيل مبادئ هذه اللغات المتكلمة دون اعادة تامة لها ، وما أن يخرج الى الحياة العملية حتى ينساها لانه لا يمارسها نتيجة غيابها عن مطالب الحياة .

أما معرفة اللغات القديمة فيمكن الاستفادة منها في نقل التراث الى اللغات الحديثة أو في اكتشاف الآثار والكشف عنها . وهذه مهمة تشبه تماما الاهتمام بتدريس أعمال الأدباء والفنانين ، منذ فجر التاريخ وحتى القرن التاسع عشر ، دون الالتفات الى المحدثين والمعاصرين .

الا أن حركة الترجمة يجب أن تنصب على النقل من وإلى اللغات الحية الحديثة للتقريب بين الشعوب التي تعيش في ظروف عصر واحد . وبهذا يسهل الالتقاء حول فكر اجتماعي له هدف انساني واحد ، والاتفاق على مبدأ وحيد هو ولا جدال مبدأ التعايش السلمى وقرار السلام والحرية .

وهكذا نجد أن حصول بيلو قد نقل الأدب والفن الى قلب المعركة السياسية مع الفكر النقدي من أجل حياة آمن ، بل ووضع على عاتقهما ، الأدب والفن ، مسئولية تدعيم السلام وفض النزاع القائم بين المعسكرين الخطيرين .

وفى نهاية حديثه أعرب صول بيلو عن أسفه الشديد على الوقت الذى يضيعه أعضاء المؤتمرات الدولية بأنواعها المختلفة ٠٠ فهم لا يدخلون بخطة عمل واضحة ولا بنوايا صادقة فتكون النتيجة أن يخرجوا بدون أهداف وحتى أن هم سجلوا عددا قليلا من الأهداف فإنهم لا يضعون لها قوانين تحميها وتكفل ضمان تطبيقها ٠ فالقوة دائما هى الحق ٠٠ أو كما قال الشاعر الفرنسى الكبير لافونتان فى عبارة شهيرة له « أن منطق الأقوى هو دائما المنطق الأفضل » ٠

ولكن صول بيلو الكاتب التقدمى المؤمن بعادلة المصير ، مصير الانسان ، وبالأمل فى الانسانية ، انسانية كل الشعوب ، يعود ليؤكد أن سلاح المستقبل هو « الكلمة » كلمة كل المثقفين التى تستطيع وحدها أن تجمع شعوب الأرض حول النداء الحار من أجل الخير والحرية والسلام ٠

ماركيز ٠٠ بعد فوزه بجائزة نوبل

هو « جابرييل جارسيا ماركيز » مؤلف « ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ١٩٥٥ و « مائة عام من العزلة » ١٩٦٧ و « خريف البطريق » ١٩٧٥ ٠٠ فضلا عن روايته « مائتم الأم الكبيرة » و « الازمنة الصعبة » وقصة فيلم « لا لصوص فى هذه المدينة » بالإضافة الى سيناريوهات عدد من أفلام « الموجة الجديدة » وتحقيقات صحفية أشهرها « قصة غرق البحارة الكولومبيين » و « عملية شارلوت » التى اقتحمت فيها القوات الكوبية أنجولا ٠٠ الى جانب رحلاته الصحفية والثقافية الى برشلونة وباريس وهافانا ونيويورك وكاراكاس ٠٠ وصداقاته بجيفارا وكاسترو وسنجور وبايخو ونيرودا ٠

ولد « جابرييل جارسيا ماركيز » عام ١٩٢٨ بمدينة الجبال والتلال « اراكاتاكا » الكولومبية ٠ وانتقل الى مدينة يوغوتا ليلتحق بمدارس الجزويت ثم بكلية الحقوق ولكنه هجر المحاماة الى الصحافة فعمل بجريدة « الاسيكاتاتور » وأنشأ وكالة أنباء « برييتسالانينا » حتى استقر فى باريس والى الآن ، عندما فاز بجائزة نوبل العالمية فرع الآداب حيث جاء فى تقرير لجنة الجائزة السويدية باستوكهولم « ومنحت جائزة الآداب للكولومبى جابرييل جارسيا ماركيز لرواياته التى يمتزج فيها الخيال بالواقع فى ظل تركيبة ثرية لعالم شعري » ٠

اكتسب « ماركيز » عالميته — بعد أن ترجمت رواياته الى ست عشرة لغة — من محليته الشديدة فكل موضوعاته تدور فى مدينة « ماكوندو » الساحلية التى لا تمثل كواومبيا وحدها أو أمريكا

اللاتينية كلها ، ولكنها تمثل فى الوقت نفسه العالم بأسره وهى لاتعبر عن المكان أو الأمكنة بقدر ما تعبر عن الصالة الوجدانية والفكرية ، حالة انسان النصف الثانى من قرننا العشرين ٠٠ فإذا كان « ماركيز » قد استهدف قضايا مجتمعه ، الا انه لم يغفل للحظة قضايا الانسان دون مباشرة وبغير تلميح فى الوقت نفسه ٠ فلا ظل عنده للواقعية أو الرمزية ، بل يكاد يقترب أدبه من « الموجة الطبيعية الجديدة » وان ابتعد تماما عن العبثية واللامعقول ٠٠ هو أدب « الواقعية الشعرية » أو « الخيال الواقعى » وهو أدب « البحث عن أسلوب خاص ومتميز » ، لأن الكاتب - فى رأيه كما فى رأى القديمين والمحدثين - هو الأسلوب فكل ما يمكن أن يقال قد قيل منذ زمن بعيد ، ولا تبقى الا طريقة القول وهذه الطريقة هى الشكل أو الأسلوب ٠

لقد اعترف النقاد - وفى مقدمتهم فرنانديز برازو ، وانجيل رامبا - بأن « ماركيز » هو الذى كشف عن موسيقية اللغة الاسبانية التى ترفعها الى شفافية وشاعرية اللغة الفرنسية فى مجال الأدب وخاصة فى النثر الروائى ٠

وهذا ما يذكرنا بتفرقة « جان كوكتو » الشهيرة بين شعر اللغة واللغة الشاعرة أو بين شعر المسرح والشعر فوق المسرح فماركيز يحمل فى داخله - وهو ينتقل بين الواقع والخيال من ناحية وبين الوهم والحقيقة من ناحية أخرى - تراث وأثر وتأثير « شاتوبريان ولامارتين ودوماس وسكوت وفيلزاك وفلوبير وفولتير وزولا » بحيث يغلف مضامينه بحرص وشفافية فلا يتركها عارية مكشوفة ولا يحكم استغلالها ، فهو يركز على الفكر القومى ويحطرك الى النظريات السياسية والاقتصادية ويتعرض للوضاح الاجتماعية والآراء الأخلاقية والمواقف الانسانية ، وهو يرسم شخصياته ويحللها بدقة ويصف الأماكن والأشياء ببراعة من بطل الرواية الى عاشر

السبيل من البيت الى حبة الرمل ، فى جو كونى ضارب فى جذور
الماضى ، جاثم على صدر الحاضر ، محلق فى سماء المستقبل .
انسان ماكوند وهو الماضى وانسان امريكا اللاتينية وهو الحاضر
وانسان العالم وهو المستقبل .

عالم الفكر والادب والفن اذن هو « جابرييل جارسيا ماركيز »
الذى يؤمن بأن الكتاب والفنانين ليسوا « مركز الكون » ولكنهم
« ضمير المجتمع » . كما يؤمن بأن « قارئ العصر » لا يقل ذكاء
وادراكا عن « كتابه » فهو لا يحتاج الى من يطلعه على مآسيه أو
يكتشف له عن غياب العدالة ، لأنه يعرف كل هذا ويعرف أكثر من هذا
حياة ومعاناة ، وإنما هو بحاجة الى فكر جديد وأدب جديد وفن
جديد ، ففى الفكر والأدب والفن - الجاد والجديد - توعية وتحريض
أو استشراف وتبشير .

اتخذ « ماركيز » من « الانسان » محورا لفكرة الرفيع ، فرفعه
الى قمة كتاب العصر المبدعين .

دراسات عربية

(م ٦ - الانسان كلمة)

الرواية الأكتوبرية . . وأدب ما بعد النصر

أدب النصر يختلف عن أدب الهزيمة على الرغم من أن كليهما يصدر عن انفعالة مفاجئة ويعبر عن حالة راهنة سواء كانت تؤدي هذه الحالة الى تغيير أو هي غيرت بالفعل وسواء قضت على وضع قديم أو أدت الى وضع جديد ، قصير أو طويل الأجل أو ربما أبدى الأجل أيضا . . .

وأدب الحروب الذى يكتب اثناء أو بعد المعارك بغض النظر عن نتائج هذه المعارك سلبي أو ايجابيا هو فى واقع الأمر أدب مناسبات مهما حقق من خلود أو عبر عن مشاعر انسانية وقيم روحية وأراء بناءة وأفكار مستقبلية .

والأدب المرحلى هذا اما أن يكتبه أدباء محترفون أو يقتحمه هواة منفعلون ومتاثرون بالأحداث نتيجة لمشاركتهم الفعالة أو مشاعرهم الفياضة . .

والرواية كفرع من فروع الأدب ، ربما كانت من اقدر الفنون التعبيرية استجابة لأحداث الحروب وهى بالتأكيد المهياة لسرد تلك

داخل جبهة القتال مستثمرا وجوده كمراسل حربى ، عايش المعارك وان لم يشترك فيها .

وكمراسل حربى أيضا ، استغل « عرسى عطا الله » وهو صحفى معروف متابعته للمعارك وأصدر كتابا بعنوان « حقيقة المثغرة فى الدفرسوار » مؤكدا على الغلاف انها « رواية الحسرب من غرفة العمليات » وبذلك نقل الأحداث وعالج المواقف بأسلوب روائى دون أن يتقيد بالشكل الروائى .

وبطريقة المذكرات المباشرة أصدر « ابراهيم عزت » كتابا بعنوان « لا يمكننا دفع المصريين الى الخلف » مستندا الى اقوال العدو نفسه ورواياته وكذلك اقوال الكتاب الذين شاهدوا وسجلوا دون أن يقحموا أنفسهم كطرف فى الصراع ، مثل كتاب « يوم الغفران » للصحفيين الاسرائيليين السبعة .

ومن هذه الكتب صدرت نوعيات كثيرة مختلفة بأقلام متخصصة ولكنها ليست روائية ، فيما عدا « عصام دراز » الذى كتب « قصة حب من يونيو ١٩٦٧ » و « يوسف القعيد » الذى كتب رباعية « الحداد » على طريقة رباعية داريل « الاسكندرية » ورباعية فتحى غانم « الرجل الذى فقد ظله » ورباعية نجيب محفوظ « ميرامار » . كما كتب « اخبار عزية المنيسى » وهى مكونة من أربعة فصول زمنية دون أن تكون رباعية بالضرورة .

و « بهاء السيد » الأديب المقاتل معا ، الذى كتب مجموعة قصصية تقترب من الرواية بعنوان روائى ايضا هو « السفر فى الليل » وتضم « رتوش فى حديقة الصمت » و « لصوص من نوع آخر » و « عندما يختلق القمر » و « المسافة الضيقة » و « رحلة الجانب الآخر » و « أحسن وحركة الأصعب الأخيرة » وقصصا

الأحداث بالتفصيل فى مواجهة القصة القصيرة التى تلتقط لحظات ومشاهد وتكتفى بالكثيف ، والشعر أيضا الذى يحول الخيال الى حقيقة ويحول الواقع الى أحلام ٠٠

والرواية فى تلك الظروف قد تحتفظ بعناصرها وأساليبها وأشكالها ولغتها أو بعضها وقد تأتى بالجديد الذى ينبثق من الأحداث وقد تبعد تماما عن قوالب الرواية والبديلة لترتدى ثيابا أدبية متنوعة أخرى مثل اليوميات والمذكرات والكلمات والمقالات أيضا ٠٠

ولا نستطيع ونحن نمهد للحديث عن أدب النصر أو بالتحديد الرواية الاكثورية أن نغفل ولو ذكر أدب المهزيمة أو بتحديد أدق رواية يونيو المعبرة عن الغضب المناهية بالثأر والثورة ٠٠

وهذا طبيعى فالمرارة والحسرة والأسى والصدمة وربما اليأس أيضا كلها مشاعر تعتري المواطن حيا أو قارئاً أو كاتباً عقب المنكسة والهزيمة ٠٠

أصدر « مصطفى بهجت بدوى » كتابا بعنوان « كلام عنا وعن إسرائيل ٠٠ من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر » يتناول فيه بطريقة المقالات اليومية والاسبوعية والافتتاحيات ما حدث فى يونيو وما جاء به أكتوبر ، ورغم أن الكاتب شخص واحد إلا أن اللهجة والاهتمام والمنطق والرؤى قد اختلفت ٠٠

وأصدر « جمال الغيطانى » وهو روائى معروف كتابا بعنوان « المصريون والحرب ٠٠ من صدمة يونيو الى يقظة أكتوبر » يصف فيه بأسلوب المذكرات والتكريات ما شاهده بين الحربين ، ولكن برؤيتين مختلفتين ٠٠

وأصدر « حمدى الكيسى » وهو مذيع ومقدم برامج أدبية معروف ، كتابا بعنوان « اليوم السابع » مستخدما شكل اليوميات،

أخرى تقترب من المعركة دون أن تلمسها لمسا مباشرا أو تكتوى
بنارها تماما ..

و « مجيد طوبيا » الذى كتب « أبناء الصمت » ليصور أثر
صدمة يونيو فى الاستعداد لاكتوبر مرورا بالحرب واللاحرب ومعايشة
لحرب الاستنزاف ، كل هذا بهدوء أعصاب من ناحية ونفوس تغلى
من ناحية أخرى ، ببرود عقلى فى اتجاه الاعداد والتخطيط وقلوب
ملتبهة بالحماس والأقدام ..

أما كبار الكتاب فقد شاركوا بالكتابة التى تستمد بريقها من
تخصصاتهم دون أن تنطلق الى تلك التخصصات الأدبية والفنية ،
مكتفية بالوصف والتصور والتعليق ، من هؤلاء شيخ الكتاب
« توفيق الحكيم » الذى أطلق تعبير « عبرنا الهزيمة » فى مقالاته
القصيرة جدا ، حتى صار التعبير رمزا للنصر وعلامة على المرحلة
ودلالة على الاصاله . وكتب شيخ الروائيين نجيب محفوظ « دروس
اكتوبر » وفيها أطلق عبارة « ردت الروح » ليرد على الحكيم ويدلل
على حضارتنا الانسانية الخالدة برؤى ثاقبة ولغة روائية متطورة .
وبطريقة النقد والتحليل والتفسير تناول « الدكتور لويس عوض »
حدث العبور فى سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان « الأدب والمعركة »
بلغ فيها قمة التصور ودقة التصوير ..

ولأنه ضابط سابق كتب « يوسف السباعى » بلغة عسكرية
وأسلوب حربى عن « الفكر والفن » مؤكدا انهما من أخطر الأسلحة
وجاءت كتاباته عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر
العظيم ، سجلت فى معركة التحرير والمصير .. ويكتب « ثروت
أباطة » فى سياسة الحرب وحرب السياسة عاقدا المصلة الوثيقة
بينهما رافعا شعار الحرية كخطوة أولى فى طريق التحرير
والنصر .. أما « أنيس منصور » فيكتب بطريقته السلسلة الطريفة

عن « رقم ٦ » فى حياتنا ودلالاته وعلاماته ومؤثراته ونتائجه ٠٠

ودون أن يتخلى الشعراء عن قلوبهم الشعرى أخذوا يروون الأحداث فى قصائدهم بعد ابعان النظر واعمال الفكر وارهاسف الحس ٠٠ كتب « أحمد عبد المعطى حجازى » اغنيات للوطن ، وكتب « هاروق شوشة » اغنيتان لمصر ، « وأصدر « فتحى سعيد » أول ديوان عن حرب أكتوبر بعنوان « مصر لم تنم » تلك العبارة التى تحولت الى انشودة يرددها الشعب ويحفرها التاريخ فى كتبه وذكريته ٠٠

وقبل أن نتفرغ للحديث عن الرواية الاكثوبرية بحق ، نسجل هنا ما وقعنا عليه من الانتاج القصصى أو الصورة المصغرة من الرواية ، نجد أن الادبية « لوسى يعقوب » قد أصدرت مجموعة بعنوان « عذراء سيناء » عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر العظيم ، سجلت فى انفعالات المعركة ، ويكفى أن نقرأ أسماء قصصها القصيرة لندرك المعانى التى تسعى الى تأكيدها والمشاعر التى تتمسك بتسجيلها ، مثل « حفنة من رمال سيناء » و « عبير النصر » و « ملحمة البطولة » و « تحقق الأمل » و « انشودة السلام » ٠٠ ومثل « أكثر من الحب » و « وما أحلاه من عيد » و « الخطوة الواثقة » و « دمعة باسمه » تصويرا للبطولات الانسانية المصاحبة للبطولات العسكرية والناجمة عنها ٠٠

وفى مجال القصة القصيرة أيضا أصدر اديب السويس « محمد الراوى » مجموعة « الركض تحت الشمس » من واقع المعارك ومن داخل الخنادق مركزا على مدينته المضروبة والمحاصرة طارقا بذلك جانبا آخر من جوانب المعارك وهو الاثار المترتبة على تلك المعارك ، وهى هنا الهجرة والمهجور ، والجثث والضحايا والأمل الضائع والحلم المفقود ٠٠ ولنقرأ بعض أسماء هذه المجموعة مثل

« هجرة الى الداخل » و « مرثية حب » لنقف على المعنى الذى يريد أن يعبر عنه الكاتب ٠٠

والى جانب الأدباء الشبان المحترفين تظهر كوكبة من الشباب المقاتل الذى يكتب لأول مرة بدافع التعبير عن المعاناة سواء تلك التى انتهت بالنصر أو احيطت بالهزيمة ، من هؤلاء « ابراهيم عبد المجيد » الذى احترف الكتابة بعد ذلك وخاصة بعد أن أصدرت عقيبا على حرب يونيو رواية جيدة وشيقة بعنوان « فى الصيف السابع والستين » ٠٠ أما « تعليقات من الحرب » فهى قصة روائية أو رواية فى قصة تربط بين النكسة والنصر من خلال شباب المرحلتين أو الحقبتين أو الحدثين ٠٠ ومن هؤلاء أيضا المقاتل « حسن عطية » الذى كتب « الخروج من حفر الدفاع السلبى » ليبين اثر وتأثير « سام ٧ » فى المعارك الحربية مستخدما بضمير المتكلم الذى ينقل تجربته الحية مباشرة دون وسيط ، مما جعل السرد يتسم بالصدق وان لم يتميز بالفن القصصى المتمكن لغة وبلاغة ٠٠ ويجيء مقاتل آخر هو « محمود عبد الوهاب » الذى يركز أحداث قصته حول « عملية العبور » بالتحديد فيصفها ويوصفها بعد تركيز وتكثيف يتمثل فى العناوين الفرعية التى جاءت على شكل بلاغات عسكرية ووقائع حقيقية ٠

وضمن مجموعة قصصية ومسرحية بعنوان « من وحى أكتوبر » كتبت « عزيزة صادق » كما كتب « صلاح عبد السيد » عن الجانب الانسانى فى المعركة بعيدا عن المعركة ٠٠

وننتقل الى الرواية الطويلة لننقل امثلة وليس حصرا لها ، ان ذكرنا مجرد ذكر أو ببعض التلخيص والتحليل ٠٠

تستمد رواية الاديب « نجيب الكيلانى » عنوانها « رمضان حبيبى » من زمن المعركة لأول مرة كما تستمد أحداثها من وقائع

والسلام « وهو الذى كتب « رد قلبى » من المنطلق ذاته ونحو ذات.
الهدف ..

اما « محمد جلال » كبير كتاب جيل الوسط فيكتب « قهوة
المواردى » ليصور الجانب الآخر من المعركة الدائرة ، جانب الشعب
فى الأزقة والحوارى والمقاهى والبيوت الصغيرة فى المدينة الكبيرة
والناس على اختلاف درجاتهم العلمية والتعليمية والثقافية والوظيفية
والحياتية والعملية ، رجال ونساء وشباب وفتيات وصغار أيضا ،
هؤلاء المهتمون المتابعون وأولئك المشغولون اللاهون ، وأيضا
العابثون وغير العابثين .. وهو لا ينسى - كما لم ينس يوسف
السباعى - ان يصور قصة الحب الرئيسية وقصص الحب الجانبية
أو الفرعية فى قلب العمل الروائى حتى لا يصاب الفن بالجفاف ،
فالدم الذى يجرى على رمال الصحراء والدم الذى يجرى فى العروق
انما يتدفق من قلب واحد وشرابين واحدة .

ومحمد جلال « يجس » نبض الشارع المصرى منذ « صدمة
النكسة » حتى « فرحة النصر » .. من خلال شارع واحد فى مصر ،
يعكس صورة مصر كلها .. وهو يصب رؤيته فى قالب روائى يضمه
أحداثا وشخصيات .

ونطالع وتطالعنا روايات أخرى لأدباء آخرين ، نكتفى بذكرها
ونذكرهم بعد أن تناولها النقد فى دراسات أخرى .. « الرفاعى » لجمال
الغيطانى ، و « الحرب فى بر مصر » و « الاسبوع سبعة أيام »
ليوسف القعيد و « أيام من أكتوبر » لاسماعيل ولى الدين
و « دعونى أعيش » لعلاء مصطفى .. وغيرهم .

ويبقى السؤال الذى يطرح نفسه بعد الانتهاء من قراءة واعية
ممتعة لكل تلك الروايات .. وماذا بعد النصر ؟ وهو سؤال لا بد أن
يجيب عليه الروائيون المسجلون الراصدون المحللون لضربات نبض.

مصر ، فى روايات نابضة أن الألوان لكتابتها بعد أن سمح البعد
الزمنى برؤية الأحداث بعقل هادئ وفكر موضوعى واحساس صادق
وحب خالص ٠٠ لمصر ٠٠

وبعد رواية النكبة فى عام ٤٨ ورواية الثورة فى ٥٢ ورواية
العدوان فى ٥٦ ورواية النكسة فى ٦٧ ورواية التصحيح فى ٧٠
ورواية النصر فى ٧٣ ورواية السلام فى ٨٢ ستظهر حتما وقريبا
رواية الرخاء ، عوضا وعدلا من عند الله سبحانه ٠

مثيرة ثابتة تاريخيا ، صيغ في أسلوب قصصى شيق يتميز بدقة التصوير وسلاسة الحوار وتماسك الحدث ٠٠ وفى هذه الرواية يصور الكاتب كفاح الشعب المناضل اثناء معركته الكبرى بذلا وعطاء وتضحيات متصلة على مدى السنين دون ان يصيبه اليأس او يعتريه اللوم ٠٠ ويبرز الكاتب اثر العامل الدينى فى تكوين الرجال وصنع الابطال والبطولات وتحقيق النصر بارادة وعزة وكرامة بلا حدود ٠٠

اما رواية الاديب الكبير « يوسف السباعى » التى تحولت الى مسرحية والى مسلسل اذاعى والى فيلم سينمائى ، ونعنى « العمر لحظة » فهى تعبير فورى عن احداث المعركة المصيرية والفاصلة بين مصر واسرائيل : فهى الحرب الرابعة أو هى الجولة الأخيرة بعد ان فازت اسرائيل بالجولات الثلاث الاولى ٠٠ ولذلك يعبر الأديب المتمكن بحسه المدرب ووعيه السياسى عن « العمر » و « اللحظة » فيكشف العمر كله بماضيه وحاضره ومستقبله فى لحظة واحدة ، ليقول الانسان المصرى على طريقة هاملت الشكسبيرى « اكون أو لا اكون » ٠٠ وعندما يغامر الانسان بمصيره كله فى عبارة موجزة مثل هذه لابد ان تكون لديه الارادة والمقدرة والعزم والتصميم والرغبة فى الحياة الكريمة ، ومؤدى كل ذلك النصر ، وهو ما تحقق له بالفعل ٠٠ والرواية بعد هذا ومع هذا لا تغفل المشاعر الانسانية حتى وسط المعارك وبعد المعارك ، لأن الانسان مجموعة من المشاعر والعواطف والاحاسيس والافكار والاحتياجات ، فهو ليس فكرا جامدا ولا هو مشاعر خالصة ، ولكنه تركيبة معقدة غاية فى التعقيد وتراث متداخل غاية فى التداخل وقوانين متشابكة غاية فى التشابك ٠

ويوسف السباعى المتابع دائما للاحداث القومية والوطنية الذى يكتب « العمر لحظة » هو نفسه الذى كتب من قبل عن « الحرب

نماذج مقارنة ٠٠ من أجيال القصة

إذا جاز لنا أن نقسم الكتاب الى أجيال ، وإذا حق لنا أن نحدد هذا التقسيم بثلاثة أجيال حتى الآن ، جيل الريادة وجيل الوسط والجيل الجديد ، أمكننا أن نختار نماذج تمثل هذا التقسيم وقصصا قصيرة تعبر عن أوجه الشبه وأوجه الخلاف .

وليكن الممثل لجيل الريادة — فى هذه الدراسة — الأديب « محمود تيمور » ولیمثل جيل الوسط الكاتب « يوسف السباعى » ولیمثل الجيل الجديد الصحفى « فتحى سلامة » .

واستمرارا فى عملية الاختيار ، اخترنا قصة لكل منهم من بين مجموعات قصصية ثلاث ٠٠ الأولى بعنوان « عبيط عبيط » أحدى قصص « البارونة أم أحمد » والثانية بعنوان « الشيخ زعرب » وهى القصة التى تحمل عنوان المجموعة نفسها ، والأخيرة بعنوان « على السعداوى » أبرز قصص مجموعة « يسألونك عن الخوف » ٠٠

وكان من الممكن اختيار القصص الثلاث اللاتى تسمى باسمائها المجموعات الثلاث ٠٠ ولكن الصفات والمواصفات المميزة والتميزة قد جمعت بين الإبطال الثلاثة بحيث يسهل عقد مقارنة كاملة بين أسلوب وطريقة كل كاتب أو كل جيل .

فعبيط تيمور وشيخ السباعى وسعداوى سلامة يدورون فى الفلك نفسه ويعانون الظروف ذاتها ، يعيشون مشاكل متشابهة ويطعمون فى حياة أفضل ويطمحون الى المستقبل ، دون جدوى ٠٠ ولذلك تصادفهم منغصات ومعوقات متقاربة ، أما النهاية فواحدة .

ومع هذا فلا يمكننا ان نلاحظ أو ندعى ان « السباعى » قد تأثر بتيمور ، أو ان « سلامة » قد تأثر بالاثنيين أو بأحدهما ٠٠ بل يمكن التأكيد على ان احدا منهم لم يقرأ قصتى الكاتبين الآخرين، رغم ما فى القصص الثلاث من تكرار ، لا ينتمى الى « توارد الخواطر » بقدر ما يشير الى استمرارية الحياة بما فيها من متناقضات واشباه ٠

أما قصة « تيمور » القصصية « عبيط » فتدور حول رجل لا عمل له ، ضائع تائه ، يطلقون عليه صفة « العبيط » وهو يدرك معنى هذه الصفة ، ولكنه يستنكره فى الوقت نفسه ويهزأ به دون أن يعلن عليهم رد فعله هذا ٠٠ وتسير حياته ويسير بها محاولا شغل وقته وكسب قوته بخدمة المحيطين به أو الذين يحيط بهم ، فيتبرع بخدمة سيدة ميسرة تعطف عليه رغما عن زوجها الذى لا يكن له أى ود ، لأنه كان يغير منه فى واقع الأمر ، الى أن توفي الزوج ، فلم يذرف عليه دمة واحدة ، كان فرحه لا يوصف بعد أن سمحت له السيدة الارملة بالاقتراب منها أكثر ، لدرجة أنها تركته يغازلها ويطارحها الغرام والعشيق بعد انقضاء موعد الحداد ٠٠ فاعتقد انه أصبح عشيقها ورجلها ، الى أن فوجئ برجل أخسر يظهر فى حياة سيدته ويشغل وقتها ويأخذ لبها ويبعدها عنه تماما ، خاصة بعد أن تزوج منها وتم الزفاف ، الحدث الذى لم يستطع « العبيط » أن يتقبله ويقبله ، فقرر أن يتخلص من سيده حتى لا ينالها أحد سواه ، وبالفعل طعنها بسكين حادة ، أخذها الى أمه ليقص عليها قصته كاملة ، مع المرأة الخائنة من وجهة نظره ومع الناس الذين ظنوا انه « عبيط » ٠

هذه الشخصية غير السوية تتشابه تماما كنموذج بشري وشخصية « الشيخ زعرب » غير السوية هى الأخرى ٠٠ فالسباعى قبل أن يقص علينا قصته ، يصفه لنا من الخارج والداخل ، يصف وجهه وهيئته ثم سلوكه ونفسيته ٠٠ هو « عبيط » آخر ، من نوع آخر

ليس من أولياء الله الصالحين وان تشبه بهم ، وليس من المجانبي وان قلدتهم ولكنه « ابله » يتجه نحو التدين وحلقات الذكر ، وفي هذا فقط يختلف عن « ابله » تيمور الذى اتجه نحو المرأة والجنس ٠٠ والشيخ زعرب يحتفل بشكل خاص بتوديع « الحمل » فى منطقة الغفير ، على اعتبار أن « الكسوة الشريفة » متجهة الى أرض الحجاز المقدسة لتكسو الكعبة الشريفة ، ويتذكر سلفه « الشيخ كتكوت » المذبذب الأكبر الذى اضطر الى سرقة رغيغ عيش من مخبز والد زعرب وكاد المارة أن يقتلوه لولا تدخله والافراج عنه ، واليوم ينقلب الحال ويصبح الشيخ زعرب مجذوبا مثل المرحوم كتكوت وفى حاجة الى رغيغ عيش بعد ان أتت النيران على مخبزه وتشاء الاقدار ان يتلقفه ابن الشيخ كتكوت صاحب محل البقالة ليعطيه رغيغا قبل أن تمتد اليه يده ، وفاء لما صنعه مع والده بل ويعده برغيغ كل يوم مدى الحياة ٠٠ فلا يملك الشيخ زعرب الا أن يترحم على الشيخ كتكوت ويمضى ٠

ويقدم لنا « سلامة » شخصية ثالثة غير سوية كذلك ٠٠ شخصية « على السعداوى » المدعى « الفشار » الذى « يسوق الهبل على الشيطنة » فهو رجل بلا عمل ومع هذا يدعى أنه سيعمل مستشارا لرئيس مجلس ادارة الشركة العامة للأسمدة بدلا من أن يعترف بالحقيقة ، حقيقة أنه سيعين ساعيا على بابهِ ، وكذلك كان يدعى أن الطبيب الذى كان يعمل ممرضا عنده ، لا يفهم فى الطب ، وكان الأمر يصل الى اجراء الكشف الطبى على المرضى وكتابة روشتات العلاج للمرضى بدلا منه ، ولهذا ترك العمل وفضل أن يقدم الخدمات العامة للناس ، فهو يفهم كل شئ ويعرف خبايا كل شئ ، وهو بمعنى آخر « شيخ حارة » تماما مثل « عبيط تيمور » ومثل « زعرب المسباعى » ٠٠ ومع هذا فالجميع يعلمون حقيقته ويعاملونه على هذا الأساس ٠٠ حتى ذهب مرة للعلاج بالمستشفى والكشف الطبى

توطئة للمتعين فى وظيفة « الساعى » أو « المستشار » ، فتدخل وتداخل وصار عنصرا يعتمد عليه الصيدلى والطبيب وعبادة التحليل ، بل ومدير المستشفى ، ونسى وظيفته الجديدة وأقام فى المستشفى وطلب يد ابنة « الحارة » التى كان يحبها ولا يجد مالا ليخطبها ، فقد انهال عليه « البقشيش » من كل صوب ، ولم ينس أبناء حارته فهو يجلب لهم الدواء ويساعدهم على اجراء الكشف عليهم بالمستشفى وهكذا ٠٠ الى أن مات « على السعداوى » الشبيه كثيرا بشخصية على بك مظهر المسرحية ، وإن كانت قد كتبت القصة قبل المسرحية ٠٠ ويكشف موته عن العجب ، كل العجب ، فقد أخذ الناس المحترمون يتوافدون بلا انقطاع على الحارة لتقديم واجب العزاء ، مما جعل صاحب المقهى يستأجر مزيدا من الكراسى ويقدم مزيدا من القهوة السادة على حسابه وحساب رواد المقهى ترحما على فقيدهم العزيز ، فلما ظهرت الجريدة فى اليوم التالى فوجئ أهل الحارة باسم على السعداوى مسبقا بلقب دكتور فى نعى وزارة الصحة ونقابة الاطباء والمستشفى ونقابة الصيدالة وهيئات كثيرة كما فوجئوا بمندوب الرئاسة والداخلية والمحافظة يتقدمون « الجنازة » فاضطروا لجمع التبرعات لاقامة سرادق يليق بمقام الفقيد عميد حارتهم وكبيرها دون أن يفارقهم العجب بازاء هذه الشخصية الفذة التى استطاعت أن « تضحك » على المسؤولين وتقنعهم بغير حقيقتها المتباعدة للغاية .

هذه الشخصيات الثلاث لا تختلف الا فى التناول والمعالجة والاسلوب ليس فقط لأن ثلاثة من خيرة كتابنا هم الذين قدموها ، ولكن لانهم يمثلون فى الوقت نفسه ثلاثة أجيال متعاقبة الى حد الالتصاق وممتدة بخيط دقيق هو خيط الصلة والتواصل دون انقطاع بين الجذور والقروح أو الاجيال .

أما الاختلاف فى التناول فيتخذ عند « تيمور » شكل الحديث

الداخلي وان كان البطل الشخصية الرئيسية ، هو الذى يخاطب نفسه موجها حديثه الى شخصية أخرى لا تسمعه وهى هنا أمه ٠٠ ثم يستمر فى سرد الاحداث على طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » مع مواصلة توجيه حديثه الداخلى الى أمه التى لا تسمعه بين حين وآخر أو فقرة وأخرى ٠

ويتخذ التناول عند « السباعى » شكل المباشرة بين الكاتب والقارئ ، فالكاتب يخاطب القارئ ويخبره فى البداية انه سيقص عليه قصة ، ثم يشركه معه فى أحداث هذه القصة ، ويفترض أنه ينصت اليه أحيانا ، ويتردد منه أحيانا أخرى ، يمل القصة حيناً آخر وهكذا طوال القصة التى يعلق الكاتب على أحداثها بشكل عام وعلى الشخصية بشكل خاص خلال السرد ٠٠ ولعل « السباعى » يشترك مع « تيمور » فى جزئية من طريقة التناول هى جزئية الاسترجاع أو « الفلاش باك » ٠

بينما يتخذ التناول عند « سلامة » الشكل الحديث من ناحية والطبيعى من ناحية أخرى ، وهو وصف الشخصية الرئيسية والأحداث المحيطة بها بطريقة موضوعية لا دخل للكاتب فيها ولا تدخل من جانبه ، فلا هو يخاطب القارئ ولا هو يترك بطله يخاطب نفسه أو غيره ولا هو يلجأ الى طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » ليعمق الأحداث أو يلقي ضوءاً على الشخصية أو يممسك بما قد أفلت منه من وصف أو توصيف أو صفات ٠ وذلك هو التناول السوى للقصة القصيرة ، دون أن يتعارض هذا التناول السوى مع الشخصية غير السوية التى يتناولها ٠

وأما الاختلاف فى المعالجة فيتخذ عند « تيمور » شكل « الرفض » فبطله يرفض فكرة الناس عنه ، فكرة أنه « عبيط » ويرفض الخضوع للأمنر الواقع ، فهو يحاول تغيير واقعه بأن يرتفع من

مجرد تابع للسبدة الى عشيق لها • ويرفض الاستسلام ، فهو عندما يفاجأ باتخاذ سيدته رجلاً آخر غيره يقتلها ويتخلص منها • أما بطل « السباعى » فيتخذ من « الهروب » وسيلة لاستمرار الحياة ، فهو بعد احتراق مخبزه ، مصدر رزقه وسنده الوحيد فى الحياة ، يلجأ الى أولياء الله ويرتدى ثوب المجازيب يطوف الموالد والماحفل الدينية وخاصة الحمل ثم ينتظر رغيغ عيش هو بائع الخبز كله وصانعه فيما مضى • بينما يتخذ بطل « سلامة » من « اللامبالاة » وسيلة لاستمراره فى المظاهر التى يقابلها الناس بالسخرية لان اللامبالاة تمكنه من سلوكه غير السوى سواء اقتنع فى داخله بأنه غير سوى أو ظن فى داخله أن الآخرين هم غير الاسوياء وهو وحده السوى • ومع هذا فالكتاب الثلاثة يشتركون فى طريقة واحدة هى « المبالغة » المبالغة فى وصف الشخصيات والمبالغة فيما انتهت اليه تلك الشخصيات •

واما الاختلاف فى الأسلوب فيتمثل فى اللغة المتقكرة ، الكلمات القديمة غير المستخدمة والعبارات المعقدة غير السلسلة والتى أخذت حداثها تخف من جيل الى آخر ، فمن جيل تيمور الى جيل السباعى ومن جيلهما الى جيل سلامة اختفت اللغة والكلمات والعبارات المتقكرة والقديمة والمعقدة أو خفت ••

فهذا هو تيمور الذى يقول مثلاً : « ما فى ذلك ريب » و « كانت حياتنا معا موصلة الحلقات ، بيد انى اؤكد لك على الرغم من ذلك انك لم تسبرى غور هذه النفس البشرية » و « ماكنون صسدرى » و « هائل فاجع » و « صه يائى » و « لم يكن أصلب منى عودا ولا أشد بنية » و « تزداد فى لبوسها الأسود حسنا » و « ذلك خفق اقدام أمهم على الارض الصلبة ، تتجه نحو الحاصل » ••

وها هو السباعى الذى يقول مثلاً : « حتى لاتضل بين الاخاديد

والتجاعيد والوهاد والنجاد » و « وقد تكأ فيهما حشد من القوم »
و « رفع عقيرته بالغناء » و « الثلة العجيبة من الاولياء » و « تراهم
بين أكرش منبجج وأعرج وأكتع وأحذب وأعور » و « وكان الناس
قد تكأوا في الشوارع حتى لم يبق هناك موطئ لقدم » و « انهال
عليه باللوم » و « مرت السنون » و « وقع بصره فجأة على حانوت
المعيش » ..

ثم يجيء سلامة فيخفف حدة هذه العبارات وتلك الكلمات
وان لم يتخلص منها تماما ، فهو يقول مثلا : « كان كل امله أن
(يحصل) على وظيفة ، وظيفة ثابتة (يحصل) منها على راتب »
و « على سبيل الاقتراض » و « هاتوا البرقيات ، هاتوا جرائد اليوم »
« لم تعد مقهى .. » . وهكذا .

وهكذا تتعاقب الاجيال الأدبية ، تتفق في صفات وعلى
مواصفات وتختلف في الوقت نفسه في الطريق والطريقة ، ليتأكد
شيء واحد أو حقيقة واحدة هي أن كل جيل يفيد من الاجيال السابقة
عليه في نواح كثيرة ويتلاشى ويتحاشى العيوب والاطفاء والهنات
التي تقع فيها تلك الاجيال السابقة .

هذا ما حاولنا استكشافه وتأكيد في هذه الدراسة المقارنة
المحدودة كنموذج لدراسة أكبر أو دراسات أعمق .

الرواية المغربية ٠٠ من أين وإلى أين

فى مقدمة كتابه « الرواية المغربية » يقول « عبد الكبير خطيبى »
لقد حاولت أن أقدم أهم الروايات المغربية ، تلك التى تعتمد على
الرؤية الاجتماعية ، فان مايميز رواية عن أخرى هو ذلك الحس
الاجتماعى المرتبط بداهة بالموضع السياسى .

ونستخلص من مقدمة « عبد الكبير الخطيبى » ظاهرتين على
جانب كبير من الأهمية ، الظاهرة الأولى هى أن فئة من المفكرين
فى فرنسا كانوا أكثر تفهما وتعاطفا وتحمسا لكتاب الرواية المغربية
- ومعظمهم يكتبون بالفرنسية - من غيرهم . على الرغم من هجوم
هؤلاء الكتاب الضارى على الحضارة الاوروبية والفرنسية بالذات
خاصة بعد نشوب الحرب الجزائرية وعلى الرغم أيضا من تمسك
هؤلاء الكتاب بقوميتهم العربية وقيمهم الاجتماعية ودينهم الاسلامى
٠٠ والظاهرة الثانية هى ان كتاب الرواية المغربية استطاعوا ان
يثرؤا الحركة الادبية الفرنسية وان يسجلوا أسماءهم وأعمالهم فى
تاريخ الأدب الفرنسى وأبرز هؤلاء محمد ديب ومولود فرعون ومالك
حداد وأسيا جبار وكاتب ياسين ومولود معمري ومارجريت كاروسا
وطاهر بن جلون ٠٠

ولقد صحب تألق هؤلاء الكتاب ظهور عدد من النقاد والدارسين
لأدبهم مثل البير ميحي ومصطفى الأشرف وعبد الله لاروى ومحمد
رشاد الحمزاوى وعبد الكبير خطيبى نفسه ٠٠ اما فى فرنسا فان
أبرز من تصدى لهذا الأدب الوليد اثنان من الدارسين أولهما مدافعا
وهو المصرى المقيم فى فرنسا الدكتور « أنور عبد الملك » من خلال

كتابه « الشرقية فى خطر » والثانى مهاجما وهو ناقد الفيجارو
الفرنسى « روبير كامب » المصدوم دائما فى جراءة الكتاب المغاربة
وهجومهم المستمر على الفرنسيين وحضارتهم •

ولكن لماذا الرواية دون غيرها من اشكال التعبير الأدبية ؟

يقول « عبد الكبير خطيبى » ان الرواية شكل غريب لم يزدهر
الا فى القرن التاسع عشر ولم يعرفه العرب الا فى القرن العشرين •
ولهذا لا يصبح غريبا أو مستغربا أن يلجأ العرب الذين يكتبون
بالفرنسية الى هذا الشكل الراسخ لكى يضمّنوه قضاياهم المثارة
حتى يحققوا هدفين غاليتين أحدهما يرتبط بالشكل حيث تتوفر القيمة
الفنية للعمل الأدبى والآخر يرتبط بالانتشار حيث تسهل مهمة القراءة
دون اللجوء الى الترجمة والتعرض لضياح المعنى اثناء القيام بعملية
النقل من لغة الى أخرى •

ورغم هذه الاستعارة شكلا ولغة فان بعض الكتاب المغاربة
قد حاولوا استحداث اشكال أدبية تساير طموحاتهم الفكرية مثلما
فعل كاتب ياسين فى روايته المتميزة « نجمة » •

فاذا كان كتاب الجزائر قد ظلوا لفترة طويلة يكتبون بالفرنسية
نتيجة تأخرهم فى الحصول على الاستقلال وحاجاتهم الى مخاطبة
المستعمر بلغته بل وبفنه ، فان كتاب المغرب وتونس قد لجأوا
مباشرة الى لغتهم العربية وإن استعاروا هم ايضا الشكل الفنى
الغربى مع محاولة تعريب هذا الشكل وصهره فى بوتقة التراث
القومى والفلكلور الشعبى المتأصلين فى الشرق الأوسط الممتدين عبر
الشمال الافريقى •

واذا كانت الموضوعات الانسانية الخالدة تنحصر فى الحب
والثقة والكراهية فان كتاب شمال افريقيا بصفة عامة قد اضافوا

الى هذه المشاعر الشعور بالثورة وذلك منذ عام ١٩٤٥ على وجه التحديد .

واذا كان هؤلاء المكاتب وخاصة الذين كتبوا بالفرنسية قد استهدفوا المستعمر ، فماذا فعلوا بعد استقلال ١٩٦٨ النهائى وماذا هم فاعلون الآن ؟

موقف الرواية المغربية

المعروف ان مصطلح « الرواية المغربية » يطلق على الجزائر وتونس فضلا عن المغرب حتى لا يشاع الاعتقاد بانه مصطلح خاص بالمغرب وحده . . . وفى الجزائر بدأ كل من « لويس برتراند » و « روبرت راندوا » بكتابة الرواية المعبرة عن شمال افريقيا باللغة الفرنسية ولكنها كانت محاولات لا تعدو تقليدا لاندرية جيد وهنرى دى مونترلان . . حتى كتب « عبد القادر حاج حامو » فى عام ١٩٢٦ رواية بالفرنسية بعنوان « زهرة ، زوجة عامل النجم » التى اقتربت فيها من مشاكل مجتمعه وبأسلوب واقعى ، ثم جاء « البيركامو » و « جول روى » وعلى الوجه النقدى « جاك بيرك » ليقلبوا الوضع حسبجلين أسماءهم فى تاريخ الأدب الفرنسى وليس الجزائرى مما يدعو الى استثنائهم من بانوراما الرواية المغربية دون استبعادهم من تاريخ الأدب فى شمال افريقيا . . وبظهور « مولود معمري » وروايته الأولى « الوادى المنسى » التى نشرت فى باريس عام ١٩٥٢ يتحدد ميلاد الرواية الجزائرية بصفة خاصة والرواية المغربية بصفة عامة . . ومع هذا لم يقف معمري وحده ، فقد أصدر « كداش محفوظ » فى العام التالى أولى رواياته « صوت الشباب » . . ولم

يتوقف معمرى بعد ذلك فقد أصدر فى عام ١٩٥٦ روايته الثانية
« نوم العدل » .

ويظهر هاتين الروائيتين ولد أول ناقد ودارس للرواية المغربية
وهو « مصطفى الأشرف » الذى جاء بمثابة المنظر لهذه الطفرة
الأدبية المتألقة ، وكان أهم ما أشاد به فى هذه الروايات الثلاث هو
« الضمير الوطنى » و « الصديق القنى » نظرا للواقعية وتصدير
الأمر الواقع بعيدا عن الأمانى والأحلام والهروب الى المستقبل
المجهول .

وفى المغرب اشترك كل من «سى قدور بن شابریت» و « عبد الخالق
أتوريس» و « محمد تازى » فى كتابة المقالات والقصص
والانطباعات التى لم تقترب من فن الرواية ولكنها كانت جميعا
باللغة العربية . هذا اذا استبعدنا من المجال الروائى شاعر القوغة
العربية الكبير « محمد علال الفاسى » الذى ظهر جليا فى عام ١٩٢٩
٠٠ أما « دريس شرايى » فقد هوجم هجوما عنيفا من مثقفى المغرب
لمجرد أنه اختار الحياة فى باريس مع أن غالبية الكتاب قد عاشوا
هناك زمنا طويلا امتد الى عام التحرير عام ١٩٦٨ ٠٠ إلا أن
الهجوم ينطوى فى حقيقته على المضمون الميثاقى لروايات شرايى
نفسها ، فهو يعترف بأنه ليس مع الاستعمار ويعترف صراحة بأنه
ليس ضد الاستعمار . ويعلن عن رغبته فى أن يكون كاتباً إنسانياً
عالمياً وليس كاتباً اجتماعياً محلياً ٠٠ وعلى الرغم من عودته الى
ينابيه الأصلية والأصيلة بعد ذلك إلا أن الوقت كان قد فات على
حد تعبير النقاد المغاربة بصفة عامة .

وفى تونس نص دستور ١٩٣٠ على تدريس اللغة العربية
واعتبارها اللغة القومية للبلاد . ساعد على تطبيق هذا القرار الوطنى
انشاء كليتى الزيتونة وصديقى ٠٠ ولهذا برز الشاعر الكبير

«أبو القاسم الشابي» على المستوى العربي وقدم «على الدواويج»
أول رواية تونسية باللغة العربية عام ١٩٣٥ ٠٠ وارتبط الأدب
بالسياسة في تونس وساد المصطلح الفني الجديد للرواية النفسية-
الاجتماعية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وان تأثر كتاب المنطقة
العربية فضلا عن تونس بكل من بروسك وكافكا وجويس ٠

وقد مرت الرواية المغربية بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٣ :

وهي المرحلة التي اعتمدت على الوصف التحليلي للحياة
اليومية من ناحية وتمجيد البطولات التاريخية المستمدة من التراث
الشعبي من ناحية أخرى ٠ ففي الوقت الذي تفتشت فيه ظاهرة الرواية
البوليسية وخاصة في أوروبا وجنوب أمريكا لجأ كتاب شمال إفريقيا
إلى الف ليلة وليلة ٠ ليؤكدوا على دور المغامرات المعتمدة على
الحيلة والشجاعة والفداء في تراثهم القومي ٠ وبرزت أعلام هذه
المرحلة الأولى مولود فرعون ومولود معمرى ومحمد ديب (في
أعماله الأولى) ٠

والمرحلة الثانية من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٨ :

وهي المرحلة التي استهدفت تغريب الثقافة الأوروبية أي
جعلها ثقافة مغربية عربية خالصة ، في الوقت الذي سادت فيه
فكرة الخلاص والبحث عن الذات دون الالتفات إلى تجارب الآخرين
عملا بالحكمة القائلة بأن لكل شعب ظروفه وشخصيته وسيرته ٠٠
وبرزت أعلام هذه المرحلة الثانية البير ميحي (من خلال روايته تمثال
الملح) ودريس شراي (من خلال روايته الماضي البسيط) وكاتب
ياسين (من خلال روايته نجمة) ٠

والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٢ :

وهي مرحلة الأدب الداعى الى الاستقلال المنصب اساسا على الحرب الجزائرية بمعنى ان الالتزام بالوطن وبقضاياها هو الاساس بغض النظر عن اللغة التى يعبر بها الكاتب عن هذا الالتزام . بل أدى هذا الازدواج الى كشف المستعمر لجرد ضحمان وصول هذه الصيحات اليه والى من يقرأون لغته لجهلهم بلغة الوطن المكافح . . وأبرز اعلام هذه المرحلة الثالثة آسيا جبار ومالك حداد ومحمد ديب (فى اعماله الاخيرة) .

ولعل مرحلة رابعة لاتزال فى دور التكوين لأنها مرحلة الهدوء والتقاط الانفاس تلك التى تلت الاستقلال النهائى وأخذت تصفى الصراعات الداخلية وتعمل على البناء الوطنى وتتطلع الى مستقبل أفضل ، ولهذا تناقص عدد الروايات من ناحية ولم تلمع أسماء جديدة فى سماء الرواية المغربية على الاطلاق .

فنون الرواية المغربية

من خلال جدول بيانى مبسط يتضح ان عدد الروايات التى كتبت بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٦٢ (اى على مدى ١٨ عاما) لم يزد عن ٤١ رواية ، ٣٤ منها باللغة الفرنسية و ٧ فقط باللغة العربية موزعة على المغرب وتونس دون الجزائر .

ومن هذا الجدول ايضا يتضح ان عدد النسخ يتراوح بين ١٥٠ الى ١٥ الف نسخة ، لم يهتم بنشر طبعات شعبية منها غير « غمانويل روبليس » الجزائرى الاصل الذى خصص للكاتب المغربى طبعة اسمها « ميديترانيه » .

ومن هذا الجدول نتبين ان الروائيين المغربيين لم يزد عددهم على ٢٦ روائيا ١٣ منهم يعملون بالصحافة والتعليم واثنان يعملان بالوظائف الحكومية واثنان يعملان بالمهن المختلفة وأربعة متفرغون للكتابة .

فاذا كان الروائيون الذين يكتبون بالفرنسية قد تأثروا بأدباء أوروبا والفرنسيين منهم بصفة خاصة فان الروائيين الذين يكتبون بالعربية على قلتهم قد تأثروا بالأدباء العرب والمصريين منهم بصفة خاصة . ومع هذا فان عددا من كتاب اللغة الفرنسية لجأوا الى الاعمال العربية المترجمة لكبار الكتاب مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستطاعوا ان يمزجوا بين تأثرهم الغربى ومحاولة التأصيل العربية ، ولهذا فان كانت الرواية المغربية قد كتبت باللغة الفرنسية الا ان الروح نفسها ظلت عربية بل ومحلية جدا فى بعض الاحيان .

وفى الوقت الذى لم يعان فيه كتاب اللغة الفرنسية من مشكلة بين اللغة الرفيعة واللغة العادية وهو فارق نوعى يتصل بالأسلوب أكثر من اتصاله باللغة نفسها ، فان كتاب العربية قد واجهوا مشكلة ازدواج اللغة ، فهم يكتبون مثلما يتكلمون مع فارق بسيط هو الفارق الكبير بين لغة الكتابة ولغة الكلام أو بين الفصحى والعامية فمنهم من التزم بلغة « القرآن الكريم » نصا وروحا ومنهم من لجأ الى الفصحى الحديثة ان صح التعبير ، ومنهم من كتب فصحى الجرائد والمجلات ، وقليلون هم الذين جربوا على استخدام العامية وان لم يكن استخداما كاملا ، فقد قصرنا استخدامها على الحوار ، أما السرد فقد ظل يكتب بالفصحى وان كانت هى الفصحى المخففة . وهذه المشكلة لا تقتصر على كتاب الرواية المغربية ولكنها تمتد الى الوطن العربى كله وخاصة بعد فشل المحاولة التى بدأها « توفيق الحكيم » وأطلق عليها مصطلح « اللغة الثالثة » .

نوعية الرواية المغربية

تنقسم الرواية المغربية الى خمسة انواع متميزة ٠٠ اولها ٠٠ « الرواية الشعبية » وهى الرواية التى تهتم بوصف الحياة اليومية مع التركيز على العادات والتقاليد المتوارثة والمكتسبة ٠٠ وثانيها « الرواية التاريخية » وهى الرواية التى تستهدف البطولات المعاصرة بالرجوع الى البطولات التاريخية ٠٠ وثالثها « الرواية السيكلوجية » وهى الرواية التى تنفذ الى الحياة الداخلية للناس ٠٠ ورابعها « الرواية الواقعية » وهى الرواية الاجتماعية التى ترسم صورة مكبرة للحياة الاجتماعية وظروف هذه الحياة ٠٠ وخامسها « الرواية الرمزية » وهى الرواية التى تلجأ الى الرمز والتلميح خشية المواجهة والتصريح وخاصة فى زمن الاحتلال والحرب ٠

أما الشكل فاما أنه يميل الى الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية أو الاعترافات واما أنه يتعرض لحياة الآخرين ٠٠ وقد استُخدم الشكل الأول ضمير المتكلم أحيانا والضمير الثالث أحيانا آخرى ٠ بينما اتخذ الشكل الثانى أسلوب السرد والحوار ٠٠ الشكل الأول وأن كان ذاتى النزعة إلا أن كاتبه كان يتخذ من نفسه نموذجا لمواطنيه ومقياسا لظروف الحياة أما الشكل الثانى فهو جماعى النزعة بالضرورة وأن لم يكن كاتبه ملتزما دائما ٠ فهو يتأرجح بين العمل على إثارة القضايا الكبرى والمصيرية والرغبة فى الكشف عن السبلات الشخصية أو الجماعية لمحاولة تفاديها وعلاجها لمن أجل مجتمع أفضل وحياة أكرم ٠

إلا أن الظاهرة الصحية والطيبة وسط كل هذه الأشكال والأساليب والمواصفات والأهداف هى أن ذلك الأدب الروائى منبذ

مولده وحتى اشتداد عوده مرورا بأعقد الأزمات وأروع الاختبارات لم يكن أدبا موجها أو دعائيا بل كان أدبا إنسانيا بأصدق المعانى وأشرف النوايا والغايات .

ولا يعنى ذلك أن كل كتاب الرواية المغربية قد حافظوا على هذا الاطار وتلك المضامين فقد لجأ البعض الى ما يسمى بالفن للفن دون الالتفات الى القضايا المصيرية الملحة والمشاكل الاجتماعية المثارة . فكان مصيرهم النقد والانتقاد وكان مصير اعمالهم الفشل والاهمال . . فالتونسي « على الدواحي » حاول مقلدا المصري « عبد القادر المازني » استخدام الأسلوب الساخر فى كتاباته العربية فضلا عن اختياره لأدب الرحلات ، فقد طاف بموانئ البحر المتوسط وعواصم أوروبا - والمغربى « دريس شرابى » حاول اكتشاف المجهول أو الميتافيزيكا رغم تخصصه فى الكيمياء مدعيا انه يقترب بذلك من الانسان فى كل زمان ومكان دون ان يضطر الى حصر نفسه فى انسان أوروبا المستعمر أو انسان المغرب المستعمر . . ولكنه عاد بعد الهجوم العنيف على نظريته ونظريته الى المشاركة فى أحزان وطنه والعمل على التخلص والخلاص .

وهكذا لم تفلح ولم تنجح أساليب معروفة ومنتشرة فى العالم أجمع أبرزها كما رأينا « الأسلوب الساخر » و « الميتافيزيكا » لأن الظروف لم تكن ملائمة والحاجة الى أدب ملتزم كانت ملحة وإن لم يتم ذلك بالتوجيه رغم ما حدث من ضغط على بعض الكتاب لتصحيح مسارهم وتهذيب مسيرتهم .

ولعل « جان حمروش » هو نموذج لكتاب جيل المعاناة الذين عبروا عن الغربة سواء خارج أوطانهم أو داخلها .

ايدولوجية الرواية الجديدة

كان على الكتاب المغاربة أن يحددوا دورهم الرائد منذ البداية ولكنهم سرعان ما صدموا بالتيارات المختلفة والتي يزدحم بها تاريخ الادب العالمى أو الأدبيين المغربى والعربى على أقل تقدير لأنهما الأقرب اليهم .

فإذا كانت الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة والواقع هى المصدر الغربى المرفوض فإن الرومانسية وهى المصدر العربى بقيادة جبران خليل جبران والمنفلوطى ونعيمة والشابى ومحمود تيمور تعدا هى الاخرى مرفوضة . . اما المرفوض فهو الذى حسم الصراع حقا ، وذلك نتيجة للعوامل الخارجية . . فالمستعمر جاثم على صدر الأمة وثقافته المزيفة تستهدف روح هذه الأمة وضميرها . . ولهذا وقع الحمل الأكبر على كاهل هؤلاء الرواد الجدد أو الرواد الشباب برغم طراوة كواهلهم وضعف بصائرهم وبصيرتهم . . تلك الكواهل التى ما لبثت أن اشتد عودها وتلك البصائر والابصار التى قويت رؤيتها بفضل الخبرة والممارسة برغم العزلة ورغم الأزمة وفى قلب ضراوة الاحداث .

يقول ميخائيل نعيمة « الكاتب هو فى الحقيقة فيلسوف ، فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويقول ما لا يقدر الآخرون على قوله » ويرى محمود تيمور ان الكاتب « مرآة المجتمع والناس فهو يعكس ما يرونه ويعبر عما يجيش بصدورهم وأفئدتهم » .

وعلى هذا لا يمكن القول بان الادب المغربى أو الرواية المغربية قد أشعلت النضال ولكنها قد مهدت لهذا النضال بكل تأكيد ، ونعنى به نضال الجزائر الذى كان آخر معول ينزل على جدار الاستعمار

ليمحور الهزيمة والعار عبر التاريخ الطويل الممتد والمتعدد أيضا .
وباتت كلمات الغضب والازدراء والدم والمقاومة من أبرز ما ورد
في قاموس هؤلاء الكتاب .

رواد الرواية المغربية

يشارك رواد الرواية المغربية في صفات كثيرة اكتلك التي
ذكرناها حتى الآن ، رغم انتمائهم الى ثلاثة أوطان عربية متاخمة
الحدود . ولكن لكل منهم صفاته الخاصة بحيث يتميز أدبه سواء
على مستوى الرواية المغربية او على خريطة الأدب الروائي في العالم
كله . وكما تمثل المرأة العربية في عصرنا الحديث في كافة
المجالات والأنشطة الانسانية والاجتماعية ذراها وقد مثلت في عالم
الرواية المغربية خير تمثيل .

مولود فرعون :

ولد بمدينة تيزي - هيبال الجزائرية عام ١٩١٣ لأب فلاح غير
مهنته في فرنسا الى عامل . درس مولود بمدرسة المعلمين وتدرج
في مهنة التدريس حتى أصبح مديرا لمدرسة الجزائر . ساهم
بالكتابة في العديد من المجلات العربية والفرنسية ، اصدر روايات
« ابن الفقير » ١٩٥٠ « الأرض والدم » ١٩٥٤ « الطرق الصاعدة »
١٩٥٧ . واصدر « المذكرات » عام ١٩٦٢ . قتل في ١٦ مارس
١٩٦٢ في فجر معركة الاستقلال .

اما الرواية الأولى فهي عبارة عن ترجمة ذاتية تحكي حياة
مولود طفلا في القرية ثم شابا يعاني الفقر والهوان مثل سائر أبناء

شعبه ثم رجلا يشق طريقه بالكفاح والعرق حتى يصل الى منصب متواضع ولكنه كبير بالنسبة لابناء جيله المقهورين والمحرومين من الزاد العلمى والثقافى على السواء .

وتجىء روايته الثانية لتحرك الشخصيات الساكنة وتفجر فيهم المشاعر الجامدة فقد تعلموا الكراهية كما تعلموا الحب وتعلموا السخرية كما تعلموا العطف والحنو والتسامح . . وبينما كانت الرواية الأولى ترجمة حياة جاءت الرواية الثانية سيرة حياة . سيرة عامل بسيط يعود الى قريته بعد خمسة عشر عاما قضاه فى المهجر فى فرنسا بلد الاعداء وتزوح من فتاة فرنسية سرعان ما يضيق بها عند العودة ، فقد التقى بمحبوبته القديمة ابنة بلده ، ويظل يعاني من هذا التمزق فيندفع نحو الانتحار كحل للخروج من الازمة .

وتكمل الرواية الثالثة أحداث الرواية الثانية فبطلها هو ابن العامل المنتحر الذى ينتحر هو الآخر فى نهاية الأمر نتيجة للحصار المفروض حوله خاصة بعد أن عاش أربع سنوات فى بلد أمه الفرنسية وعاد ليقع فى حب ابنة عمه التى يستدرجها أحد الضباط الفرنسيين فلا تملك الا ان تصارح ابن عمها بالحقيقة المرة ، والتى تؤدى الى انتحار الفتى مثلما فعل أبوه ، وكان الانتحار وراثى فى هذه العائلة المنكوبة .

ولكن مولود فرعون لا يقف عند سرد الأحداث بطريقة واقعية ولكنه يتوقف عند وصف الحياة اليومية لأبناء القرية بالإضافة الى اللعب بالرمز من خلال أسلوب يتميز بالحرارة والدفع ولا يخلو من الأمل وإن امتلأ باليأس والأحزان .

مولود معمري :

ولد عام ١٩١٧ بمدينة تارويت بالقرب من زميله مولود فرعون

بالجزائر ، ودرس بالمدارس الجزائرية والمغربية والفرنسية ثم عمل مدرسا حتى وصل الى منصب استاذ الدراسات الادبية بجامعة الجزائر ٠٠ له ثلاث روايات « الوادى المنسى » ١٩٥٢ ، « نسوم العدل » ١٩٥٥ « الافيون والعصا » ١٩٦٥ .

الرواية الاولى تدور احداثها فى احدى قرى الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ بالتحديد وابطال الرواية ينقسمون الى فريقين اولهما من اتباع الوالى يعيشون على الخمر والرقص وثانيهما ابناء الفلاحين يتمرغون فى الأرض والفقر ، ويستدعى الجميع للمشاركة فى الحرب ، فيودع كل منهم اقاربه ومعارفه حتى يتوقف الكاتب عند واحد من الفريق الاول وآخر من الفريق الثانى يودع كل منهما حبيبته ليصور لنا مشاعر كل فريق أو كل طبقة ومدى استعداداه للتضحية والفداء أو التراجع وحسب الذات .

اما فى الرواية الثانية فيحاول معمري أن يدفع بأبطاله الى ساحة الفداء بشيء من الالتزام تلك أن الحرب ليست حربا غريبة ولكنها حرب الوطن ، فقد انقلب الأمر وأصبح المواطن الجزائرى مدافعا عن أرضه وليس عن أرض غيره ٠٠ ومع هذا فالحرب لم تحقق الاستقلال بعد وكل شيء لا يزال مختلفا ، الخير والشر ، العدل والظلم ، النظام والفوضى ، البطولة والخيانة حتى أن نهاية البطل كانت السجن ونهاية شقيقته النفى ونهاية شقيقه الموت .

ونصل الى رواية معمري الثالثة فنجد ان نبرة اليأس قد بدأت تنتشر فى عباراته فالحرب طالّت والموت والفساد تفشى والظلم تسيد .

ويقرر مولود معمري ان يركن الى الصمت حتى تنتهى المعارك الأليمة ليسجل فى هدوء تاريخ المليون شهيد .

محمد ديب :

ولد بمدينة تلمسان بالجزائر عام ١٩٢٠ ، عمل بعد دراسته الثانوية صانع سجاد ثم مدرسا بالابتدائي ثم صحفيا ٠٠ كتب روايات « البيت الكبير » ١٩٥٢ ٠٠ « الحريق » ١٩٥٤ ، « مهنة النسيج » ١٩٥٧ ، « من ذا الذى يتذكر البحر » ١٩٦٢ ، هذا فيما عدا مجموعات من القصص القصيرة والأشعار فضلا عن مسرحية واحدة وسيناريو فيلم واحد .

منذ الوهلة الأولى نشم رائحة « بلزك » فى أعمال محمد ديب الذى يعد واحدا من أبرز الكتاب الجماهيريين فهو يصور حياة الناس اليومية مبينا أن هؤلاء لا يركنون الى حياتهم القائمة ولا يرجعون داخل سجنهم الكبير ولكنهم يقرعون من أجل الخلاص بأي شكل وبأي ثمن وهو لهذا يناقش الأوضاع الطبقيّة لأبناء الشعب الواحد والضمير الوطنى داخل كل واحد من أبناء هذا الوطن المحارب والمحارب معا .

فبطل الرواية الأولى ممزق الاحساس والارادة فهو لا يعرف الفرق بين غنى وفقير بين فرنسى ومسلم ، فقد تلقى فى مدرسته تعاليم خاطئة ومضللة ، وعندما يخرج الى الحياة العملية يكتشف ان كل شيء مختلف وأن النظرية غير التطبيق وأنه معدم مثل مواطنيه وأن حياته عدم مثل وطنه . فيثور ولكن محاولاته تبوء بالفشل ، فلا يكف عن تصحيح المعلومات للمصغار ، ويستسلم لهذا الدور التربوى فلا يزال النضال على الأبواب .

وقد عالج « محمد ديب » أدبه بشيء من التجديد متأثرا الى حد كبير بكتاب الرواية الجديدة فى فرنسا ، فهو وإن كان يلتزم بالواقعية الشديدة الا أنه يضع الأشياء فى مكانة لا تقل عن الانسان ويجعل من الزمن عنصرا فعلا ومن الطبيعة اطارا هاما وهو يميز

فضلا عن هذا كله الواقع بالخيال والحقيقة بالرمز والصور الشعرية
بالمواقف اليومية حتى الحرب لم يشأ أن يصفها وصفا تطبيقياً فقد
لجأ مثلما فعل بيكاسو فى لوحته الشهيرة « جرنیکا » الى أسلوب
الايحاء والتركيز واختيار الجزء للإشارة الى الكل ، وكأنه يجمع بين
الاسطورة والتاريخ أو بين الماضى والحاضر فى وقت واحد ومكان
واحد ورؤية واحدة .

مالك حداد :

ولد بقسطنطينة عام ١٩٢٧ ودرس بها ثم التحق بحقوق أكس
اون بروفونس ولكنه هجرها الى الكتابة الصحفية فى فرنسا
والجزائر ٠٠ اصدر ديوانين من الشعر وأربع روايات ٠٠ « الانطباع
الأخير » ١٩٥٦ ، « سأمحك وردة » ١٩٥٩ ، « التلميذ والدرس »
١٩٦٠ ، « الرصيف الوردى لا يجيب أبدا » ١٩٦١ .

اما روايات مالك حداد فهى « حلم الحلم » على حد تعبيره ،
وهى « حياة الحياة » على حد تعبير « عبد الكبير خطيبى » ٠٠ فهو
يكرر الملامح العامة التى تشكل أعماله الروائية وهى الوطن والمنفى
والسعادة والالتزام ٠٠ فى الرواية مثلا نجد ان المهندس الجزائرى
يهدم بنفسه الكوبرى الذى بناه بنفسه ، وفى الرواية الثانية لا يريد
الطبيب الجزائرى ان يعترف بالجيل الجديد من الأطباء فيصر على
اجراء عملية ولادة لابنته فيقضى على حياتها بنفسه ، وفى الرواية
الثالثة يظل الكاتب الجزائرى غارقا فى أوهامه الثقافية بعيدا عن
أحداث وطنه حتى تصيبه رصاصات الأعداء فيخز صريعا .

وهكذا نجد ان كل شخصيات مالك حداد شخصيات باهتة
ومسطحة وغير واقعية بمعنى انها لا تعيش فى الواقع ولكنها تدفع
التمن حياتها أو حياة المقربين ٠٠ ومع هذا يؤكد « حداد » دائما

على النضال ولو من خلال شخصية ثانوية فى كل رواية من رواياته
الاربع .

كاتب ياسين :

ولد بمدينة قسنطينة عام ١٩٢٩ ودرس بكلية «سيتيف» وقبض عليه فى حركة ٨ مايو ١٩٤٥ . ثم عمل بجريدة الجزائر ورحل الى الشرق الأوسط وأوروبا ثم استقر بباريس . كتب المسرحية والقصة والسعر والرواية . وابرز رواياته « نجمة » ١٩٥٦ ، « المربع المربع بالنجوم » ١٩٦٦ .

وقد كان « كاتب ياسين » هو الوحيد من بين الكتاب المغاربة الذى استقبل استقبالا نقديا حافلا ، لا لأنه كاتب عربى يكتب بالفرنسية عن وطنه الذى يعيش ظروفًا عصيبة ، ولكن لأنه كاتب وشاعر تفوق على معاصريه من الأمريكيين . على حد تعبير موريس نادر . واقترب كثيرا من رامبو على حد تعبير كلود روى - واستطاع ان يتفوق فى النثر والشعر معا وان يخلق لادبه شخصية مستقلة متميزة . وفضلا عن كل هذا تمكن كاتب ياسين من تجديد شباب الرواية المغربية فقد أدرك ان المضمون القوى قد يفقد تأثيره بزوال الاحداث المؤثرة اما الشكل الفنى المتميز فهو الذى يبقى وتبقى جاذبيته .

و « نجمة » زوجة كمال يحبها أربعة أصدقاء يعيشون معا فى بون . أما نجمة فهي ابنة سيدة فرنسية كانت لها علاقة بوالد أحد هؤلاء الاربعة . ويقتل الأب ويشاع ان قاتله هو غريمه فى حب أم نجمة ويلتقى الابن بقاتل ابيه طالبا منه معرفة حقيقة نجمة فى مقابل اطلاق سراحه ، فهل هى ابنة ابيه القتل أم انها ابنة القاتل ؟ وتكون المفاجأة عندما يصرح القاتل بانه والد زوج نجمة وقد يكون هو أيضا والد نجمة .

ويرى باسلار ان كاتب ياسين « يمزح الواقع بالخيال ليخلق احيانا غريبة لا تقل غرابة عما يحدث في وطنه مركزا على اختلاط الاجناس وما يجره هذا الاختلاط من مشاكل فضلا عن ضياع كل جنس في الجنس الآخر مما يزيد من الازمة وليس العكس كما قد يظن اساتذة الاجناس والاجتماع .. فنجمة بطبيعة الحال هي الجزائر ، هي المرآة المرغوبة والضحية في الوقت نفسه ، وهي الوطن المحتل والمنهار معا » ..

اما اسلوب « كاتب ياسين » فهو ذلك الاسلوب الذي يرتفع بالنثر الى مرتبة السحر والذي يحلق بالشعر حتى يبدو وكأنه نثر .. فلا ذرق عنده بين النثر والشعر ، كلاهما شفاف وكلاهما نغم وكلاهما حبة .. كذلك تبدو القصيدة وكأنها رواية والرواية كأنها مسرحية والمسرحية كأنها قصة وهكذا فلا فواصل عنده ولا حدود بين أنواع العمل الفني لأنه يقدم في النهاية عملا فنيا ..

آسيا جبار :

ولدت بالجزائر عام ١٩٢٦ ودرست بالمدارس الثانوية وحصلت على منحة بالمدرسة العليا ببافيس وعينت معيدة بجامعة الرباط ثم استاذة بها ..

اصدرت ثلاث روايات « العطش » ١٩٥٧ ، « النافذ والصبر » ١٩٥٨ .. « اطفال العالم الجديد » ١٩٦٢ ..

وتقارن أولى روايات « آسيا جبار » دائما برواية فرنسوان ساجان « صباح الخير ايها الحزن » كما تقارن بروايات ليلسى بعلبكي .. فتشخصيات « العطش » يموتون من الحب والرغبة في ظروف غامضة .. ولكن الفرق بين ساجان أو بعلبكي وبين آسيا جبار هو ان الكاتبة الجزائرية تعنى وطنها قبل كل شيء ولا تقف

يسذاجة عند جسد المرأة ورغبتها كما تصور بعض النقاد فهاجموها هجوما عنيفا ٠٠ ولهذا حاولت فى روايتها الثانية أن تكشف عن حجاب رموزها .

وهنا تنبه النقد الى فكر « اسيا جبار » وطريقتها الخاصة فى صياغة الرمز ، لأنها تكره المباشرة والواقعية كما تكره الخيال والميثافيزيقا أيضا ٠٠ ولهذا جاءت روايتها الثالثة التى كتبتها فى منفاه بالمغرب اثناء اشتداد المعارك صورة حية من خلال نماذج عديدة للمرأة الجزائرية ودورها الفعال فى حرب الاستقلال .

والى جانب هؤلاء لا يمكن للدارس للرواية المغربية والراصد لحركتها أن ينسى « عبد القادر بك هاشمى » و « عبد المجيد بن جاللون » و « مراد بوربون » و « جميلة ديباشا » و « خايف البشير » و « هنرى كريباه » و « محمود السعدى » و « مالك عوارى » و « محمد الصباغ » و « احمد سفريوى » و « مارجريت حمروش طاووس » .

فهم جميعا قد ساهموا مساهمة فعالة فى ايجاد تيار جديد فرض نفسه على تاريخ الأدب العالمى ، هذا التيار اسمه « الرواية المغربية » ٠٠ تلك الرواية التى حاولت أن تخرج من سجنها على مدى ثمانية عشر عاما من الكفاح وسنوات طويلة أيضا فى أعقاب الاستقلال .

ولكن قدرها أنها ولدت مناضلة لتظل كذلك ٠٠ فوجودها أصله اجتماعى ودورها ليس أكثر من دور تاريخى على أهميته وخطواته .

ومن هنا بقاء كاتب مثل « كاتب ياسين » دون غيره من لكتاب الرواية المغربية ٠٠ لأنه استطاع أن يحافظ على التوازن وأن يجمع المعادلة الصعبة ، فلم يفقد أدبه روح النضال التى تمنحه جواز السفر الى التاريخ أو وصف الحياة اليومية الذى يعطيه حق الإقامة داخل المجتمع ، فى الوقت الذى يحصل فيه على تأشيرة خروج الى

العالم الرحب الفسيح من خلال شاعريته ومن خلال ربط الأسطورة
بالمواقع للتحقيق فى المجال الجوى الانسانى والعبور بموانئ العصور
الممتدة فى البحر اللانهائى ، بحر الادب الرفيع ٠٠

والغريب بعد ذلك أن معظم كتاب الرواية المغربية قد وجدوا
أنفسهم بلا دور بعد الاستقلال ، فاقاموا اقامة كاملة بباريس « محيى
ديب ، كريياه شرايى » وحاولوا كتابة مايسمى بالرواية العلمية ٠
أو اهتموا بتدريس الأدب مع تخصيص مادة كاملة لتاريخ الرواية
المغربية كما يفعل معمرى وآسيا جبار ٠٠ أو تركوا العمل الأدبى
واتجهوا الى العمل السياسى والدبلوماسى مثل المسعدى ٠٠ أو
استمروا فى العمل الصحفى بعيدا عن الابداع مثل الأثشرف
وبوربون ثم بن جلون الذى بدأ انتاجه المتميز فى الظهور وخاصة
بعد فوزه بجائزة الجونكور ٠٠

ولكن جيلا جديدا يتهيا لحمل الراية التى لا يزال يمسك بها
ويرفعها عاليا « كاتب ياسين » وخاصة بعد أن جرب الكتابة باللغة
العربية وحقق نجاحا كبيرا ٠

فالرواية المغربية التى ولدت ناضجة وفتية لا يمكن أن تموت
بالنصر أو تموت من النصر ٠٠ فالنصر حياة جديدة وميلاد جديد
قادر على تجديد الشباب ، شباب « الرواية المغربية » ٠

ادباء وفنانون ٠٠ من السودان

قد يظن القارئ ان الادب السودانى توقف عند شمعراء السودان الاوائل « التيجانى يوسف بشير » و «محمد احمد محبوب» و « محمد المهدي المذوب » ثم « محيى الدين صابر » و « جيلى عبد الرحمن » و « سيد الحردك » ٠٠ وكاتبه الروائى الشهير « الطيب صالح » ٠

ولكن الحقيقة تكشف عن شخصيات أدبية وفنية لها وزنها فى الحركة الثقافية السودانية بخاصة وحركة الثقافة الافريقية بشكل عام ٠٠ ففى ختام المهرجان الثقافى برز عدد من الشخصيات الادبية والفنية فى طليعتها :

د ٠ مكى شديكة

اسهم فى كتابة تاريخ السودان وفى تحقيق تاريخ وادى النيل بشكل عام ٠٠ وتحمل مؤلفاته الأخرى التى تتناول هذا الموضوع الحيوى الهام . وجهة نظر لها اثرها فى أحداث المنطقة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة من الناحية الجغرافية ٠٠ وهو لهذا يعد الرائد الأول فى مجال العلوم التاريخية الحديثة فى السودان ٠

د ٠ عون الشريف قاسم

من الشخصيات البارزة فى المؤتمرات الاقليمية والدولية، ورغم انه يعمل بالتدريس الا انه ينكب على العديد من المؤلفات التى تناقش فى اطار عصرى علاقة الدين بالحياة وعلاقة التراث ببناء الشخصية

الحضارية ٠٠ وهو من أشد الرافضين للاستعمار بشتى صوره ليس فقط على أرض السودان ولكن فى جسم الأمة العربية جملة وتفصيلا ٠٠ ولا يقتصر اسهام الدكتور عون على الدراسات الاكاديمية الجادة أو المؤتمرات العلمية ولكنه يكتب أيضا فى الصحف والمجلات السودانية والأجنبية على السواء .

عبد الله الطيب

شاعر وناقد وكاتب مسرحى ٠٠ ومثلما يكتب بلغته العربية يكتب أيضا باللغة الانجليزية ٠٠ وقد لعب دورا بارزا فى اثراء حركة الترجمة وارساء قواعدها والتأكيد على اهميتها سواء فى التعريف بالحضارة الأجنبية للأفادة منها أو بتعريف الأجانب بالفكر السودانى ليحدث هذا التفاعل الحى بين ثقافات العالم المختلفة وخاصة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث النامية .

تجم الدين محمد شريف

من أبرز الأثريين العرب ، فقد عمل أكثر من خمسة عشر عاما فى انقاذ اثار النوبة وفى انشاء متحف السودان القومى ٠٠ وله مؤلفات عن عالم الآثار ، نال بعضها تقدير المؤتمرات الأثرية العالمية ٠٠ وقد عهد اليه بالبحث فى عناصر الوحدة من حيث التاريخ والآثار والعلوم الانسانية الأخرى ، فتجح فى تقديم النظريات الحيوية التى تؤكد قيام هذه الوحدة الأصلية ، وحدة وادى النيل .

أحمد محمد شبرين

حد الذين أسسوا مدرسة الخرطوم للفنون التشكيلية ٠٠ أقام الى جانب التدريس اثنى عشر معرضا خاضا فى السودان وخارج السودان ، كذا ششارك فى المعارض الجماعية المحلية والعالمية .

ليتناكد اتجاهه الخاص فى الخطوط وتطويرها ٠٠ ولا يقف عند حدود الابداع الفنى ولكنه يبدع فى مقالاته النقدية وأبحاثه فى الصحف والمجلات السودانية والعالمية ٠٠ وله أيضا مؤلفات خاصة ٠٠ كذلك امتد نشاطه الى تعميم الأوسمة والنياشين والخرائط والمباني .

د ٠ فرنسيس دينق

عالج العديد من القضايا المصيرية مبينا تلك الفجوة العميقة بين الشمال والجنوب والتي طالما استغلها الاستعمار ليفرق دائما بين قطبى الوحدة التاريخية والجغرافية وقد استند فى تحاليله الى الموروث الشعبى الذى يؤكد ان السودان جزء لا يتجزأ من الوطن الأفريقى الكبير وانه الامتداد الطبيعى لمصر درة أفريقيا وأم الحضارات .

خالد أبو الروس

عرف بلقب « أبر المسرح السودانى » فهو أول من اكتب للمسرح بلغة السودان الشعبية ومن أشهر مسرحياته «مصرع محلق وتاجوج» عام ١٩٣٢ و « خراب سوريا » عام ١٩٣٣ ٠٠ وهو أول من كتب المونولوج السودانى عام ١٩٣٤ ٠٠ ولم يكتف بذلك فساهم بأرائه النقدية فى المصحف السودانية على مدى عشر سنوات ، وعلى مدى خمسة وأربعين عاما ظل يعمل وحتى الآن بالتدريس موجهًا تربويا وثقافيا بوزارة التربية .

شرحيل احمد

اطلق عليه لقب « ملك الجاز » بعد أن أدخل الآلات الموسيقية الغربية جنبا الى جنب مع الآلات الشرقية الصميمة من ناحية والآلات الأفريقية التقليدية من ناحية أخرى لتصاحب الأغنية السودانية

الحديثة التى لا تنعزل عن جذورها الحانا وكلمات ، وهو بعد هذا
عازف جيتار موهوب وصوت دافىء معبر عن الاحاسيس السودانية
الصادقة وقد مثل السودان فى مهرجانات عالمية للأغنية الخفيفة
والأغنية الشعبية على السواء .

سعدية الصلحي

أوقفت حياتها واهتماماتها على دراسة تاريخ الأزياء وتطوير
فنونها ، ولم تقف عند الأزياء السودانية فحسب بل امتد اهتمامها
الى دراسة وتطوير الأزياء الافريقية ٠٠ ولذلك اختيرت للإشراف
على لجنة مهرجان لاجوس للفنون الافريقية والسودان ، كما شاركت
فى معرض اثيوبيا ثم معرض طرابلس فضلا عن معارض دولية
كثيرة ٠٠ وتعد أول مصممة لأزياء فرقة الفنون الشعبية السودانية .

هل هي ثورة ٠٠ فى عالم الكتب

نظرا لأهمية الكلمة المكتوبة فى تقدم الحضارة الانسانية ونظرا لأهمية الدور الذى تلعبه الكتب فى تطوير الحياة الاجتماعية ، اتخذ المؤتمر العام لليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) فى دورته السادسة عشرة (نوفمبر ٧٠) من عام ١٩٧٢ « عاما دوليا للكتاب » جاعلا شعاره « كتب للجميع » .

وقد عقدت من أجل النهوض بالكتاب اجتماعات ثلاثة فى آسيا (طوكيو ٦٦) وافريقيا (أكرا ٦٨) وأمريكا اللاتينية (بوجوتا ٦٩) اضيف إليها اجتماع رابع للبلاد العربية عقد بالقاهرة وحضره خبراء من (١٤) دولة عربية ومراقبون من الاتحاد السوفيتى وانجلترا والهند وممثلون لست هيئات تابعة للأمم المتحدة فضلا عن المدير المساعد للعلاقات باليونسكو « البرتواوبليجادو » وقد اختير الدكتور محمود الشنيطى (من مصر) رئيسا للاجتماع كما اختير عبد القادر بن شيخ (من تونس) وأحمد سعد الجاسر (الكويت) وعبد الأمير معلى (العراق) وبهيج عثمان (لبنان) نوابا للرئيس .

ووافق « الاجتماع » فى بداية جلساته على « ميثاق الكتاب » المعلن ببروكسل (فى ٢٢ اكتوبر ٧١) بينوده العشرة التى تؤكد على ان :

- (١) كل فرد له حق القراءة (٢) الكتب ضرورة لا غنى عنها
- (٣) من واجب المجتمع ان يخلق الظروف لايجاد النشاط الخلاق
- للكتب (٤) التنمية القومية تستوجب صناعة سليمة للنشر (٥) تطوير

النشر يستلزم تهيئة الظروف لصناعة الكتب (٦) المكتبات تعد اداة ربط بين الناشرين والقراء (٧) المكتبات جزء من الدخل القومي فهي مواطن المعرفة (٨) الوثائق تخدم قضية الكتاب (٩) التداول يعد تكاملا للانتاج القومي (١٠) الكتب تخدم قضية التفاهم والتعاون بين الدول .

وكان الموضوع الرئيسى المطروح للمناقشة فى « اجتماع خبراء البلاد العربية » هو « التعاون الاقليمى بين الدول العربية بشأن النهوض بالكتاب » ٠٠ ومن اهم الابصاات التى قدمت فى الاجتماع البحث الذى اعده المغربى « أحمد الاخضر » عن « الحلول المجدية لمشاكل الطباعة العربية » ويهدف الى تبسيط الحروف وخفض عددها (وقد اقرت الحكومة المغربية هذه الحلول ووضعتها موضع التنفيذ) وبحثا آخر اعده « ك. ر. ماير » عن « امكانات زيادة الانتاج المحلى من الورق الثقافى فى البلاد العربية » وبحث ثالث اعده « سكرتارية اليونسكو » عن « مشكلات الكتاب فى البلاد العربية » حيث برزت حقائق اهمها : ان نسبة الأمية فى الدول العربية الستة عشرة تصل الى ٧٣٪ فعدد المتعلمين يبلغ ١٨ مليوناً من ١٢٥ فى الدول العربية لا تتعدى ١٪ من الانتاج العالمى و ٥٠ آلاف كتاب فى السنة فى مقابل ٤٩٦ الف فى العالم ، تنتج مصر وحدها الفين من الكتب (٠٠ اما عدد النسخ فيصل الى ٥٠ مليون بمعدل ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة أى نصف نسخة لكل فرد ، والمعدل العالمى يبلغ ١٤٠ كتابا أى أكثر من تسختين لكل فرد ، بينما يصل المعدل الأوروبى وحده الى ٤٩٠ كتابا أى ٧ نسخ لكل فرد ٠٠ وتبلغ نسبة للكتب النزائسية التى يقيد منها ١٤٣٩٦ الف طالب فى الدول العربية (وتصنع بصورة غير جذابة كما تعرض اعدادها على نحو شئىء) الى ٣ بينما النسبة العالمية متساوية ٠٠ ويبلغ انتاج الكتب الاجتماعية ٢٤٪ والآداب ٢٠٪ (وهى نسب متساوية مع النسب العالمية) اما كتب الدين التى تبلغ ١١٥٪ (فهى تزيد بنسبة ٩٪) بينما قلت

كتب العلوم التطبيقية ١٠٪ والعلوم البحتة ٤٥٪ والفنون ٢٥٪
عن النسب العالمية وتقل أكثر كتب الاطفال البالغ عددهم فى الدول
العربية ٢٥ مليوناً بالاضافة الى ٢٠٠ الف فى دور الحضانة ٠٠
وان أعلى نسبة من الكتب العربية المترجمة الى لغات أجنبية بلغت
فى سنة ٦٧ حوالى ٥٥٪ من النسبة العالمية (٢١٧ كتاباً ٤٠٪
منها كتباً دينية) ٠

ونصل الى التوصيات التى اعلنت فى ختام الاجتماع وبلغ
عدها ٥٨ توصية نذكر منها :

(١) بداية تخطيط شامل يمتد الى عام ١٩٩٠ (٢) مكافحة الأمية
كمفتاح لانتشار الكتب (٣) حماية حقوق المؤلفين والمترجمين
والانضمام الى الاتفاقيات الدولية وخاصة الاتفاقية التى صدرت عام
١٩٥٢ (٤) تشجيع الابداع الادبى وبصفة خاصة لدى الشباب
باجراء مسابقات ومنح جوائز سخية (٥) العناية بكتب الاطفال
(٦) الاهتمام بالمترجمة الى اللغات الأجنبية (٧) العمل على انتاج
الورق محلياً تجنباً لازمات الاستيراد المستمرة (٨) تخفيض الرسوم
الجمركية على الكتب وعلى المواد المستخدمة فى انتاجها وعلى ورق
الصحف (٩) تخفيض رسوم النقل الجوى والبحرى المفروضة على
الكتب (١٠) انشاء مركز اقليمى للكتاب فى البلاد العربية ٠

وقد اتخذت بالفعل خطوات ايجابية بشأن انشاء « المركز
الاقليمى للكتاب » فتقرر ان يكون مقره الدائم بالقاهرة حيث يشغل
جزءاً من المبنى الجديد للهيئة المصرية العامة للكتاب الذى يضم
دار الكتب ودار النشر ٠٠ على ان يهتم هذا المركز (١) بتنظيم السوق
العربية للكتاب (٢) وحل المشكلات الجمركية ومشكلات النقل
(٣) وتدريب المهنيين (٤) وحماية حقوق المؤلفين والمترجمين (٥)
وتشجيع القراءة (٦) وتبادل الوثائق ٠

وتبقى بعض الملاحظات التي كان من الممكن أن ترتفع إلى مستوى التوصيات ونأمل أن يضعها « المركز الاقليمي » المزمع انشاؤه موضع الاعتبار ٠٠ (١) حظر طباعة الكتب الجنسية الرخيصة التي تنتشر في الاسواق العربية (٢) عدم ترجمة الكتاب الأجنبي الواحد إلى اللغة العربية أكثر من مرة لاتاحة الفرصة أمام ترجمة مزيد من الكتب (٣) رفع مستوى الترجمة عن طريق لجنة فحص تتبع المركز الاقليمي (٤) الارتفاع بمستوى الكتاب المؤلف عن طريق لجنة قراءة تابعة لنفس المركز وتسرى أحكامها أيضا على النشر الخالص (٥) تخفيض اسعار نشر الاعلانات الخاصة بالكتب في الصحف والمجلات والتليفزيون بنسبة كبيرة تيسيرا للدعاية المفتقدة (٦) مساهمة اليونسكو في خفض أسعار الكتب الأجنبية التي تستوردها الدول العربية (٧) خفض الضرائب بالنسبة لدور الطباعة والنشر (٨) انشاء دار نشر متخصصة في انتاج كتب الاطفال .

وهل تنقذون ٠٠ الكتاب ياكتاب

ان ترتفع حجة ويوما بعد يوم أسعار الكتاب فى العالم وفى مصر نتيجة لازمة الورق شىء جائز ٠٠ أما أن ترتفع أسعار الكتاب المطبوع قبل أن تحدث الازمة ، فهذا هو « التلاعب » الذى يؤكد أن الكتاب قد أصبح « سلعة » وأن التعامل معه أصبح تجارة تدر الربح السريع والمغالى فيه سواء فى القطاع الخاص أو القطاع العام ٠٠ بينما الطبيعى أن يظل الكتاب فى القطاع العام واحدا من مجالات « الخدمة العامة » لما له من أهمية فى التريية والتوعية والثقيف والاعلام ، وكذلك بالنسبة للقطاع الخاص الذى يفترض أن أصحاب دور النشر فيه « أصحاب رسالة » وليسوا تجارا ، والا اتجهوا الى مشروعات أخرى أكثر كسبا وإلى سلع أخرى أكثر رواجاً ٠٠ فما يحدث الآن يخضع لاحكام « الغش » و « السرقة » ، ذلك أن الناشرين ومؤلفى الكتب المدرسية ، والجامعية والعامة ، اما أنهم « يكشطون » السعر القديم ويضعون سعرا مضاعفا ، أو « ينزعون » الغلاف القديم ويضعون غلافا يحمل سعرا جديدا ٠٠ سواء بالنسبة للكتب الحكومية أو الكتب الخاصة ٠٠ وكثيرا ما « يجمع » الناشرىون اللبنانيون كل الكمية المطبوعة من الكتاب ، اما من المكتبات أو من مخازن هيئة الكتاب ثم يغيرون الغلاف ويبيعونها بسعر مرتفع فى بيروت والقاهرة على السواء .

هذه الظاهرة الخليرة وغيرها من الظواهر المتعلقة بمشاكل الكتاب ، جديرة بالمناقشة والبحث فى المسار « المعرض الدولى للكتاب » الذى يقام كل عام بالقاهرة ، من أجل انقاذ الكتاب .

أزمة الترجمة ٠٠ وروح العصر

الترجمة هي أصلا من أجل القارئ الذى لا يجيد لغة النص الاصلى ٠٠ فكيف يتسنى للمترجم ان يقدم له ترجمة سليمة وامينة على ضوء هذا المفهوم المبدئى ؟

تتبعه الترجمة عمايات « نقل الدم » تلك التى تتطلب توافق الذئب مع النمل ، فصيلة النص الاصلى وفصيلة النص المترجم ، فالشعر شعر . والنثر نثر ، والرواية رواية ، والمسرحية مسرحية وهكذا .

لكن البعض يرى ان النص المترجم لا ينبغي أن يعطينا الاحساس بأنه كذلك ٠٠ ويرى البعض الآخر ان نجاح الترجمة هو فى مطابقتها مرة اخرى بالاصل ٠٠ أما عملية « نقل الروح » فهى أقرب الى « الاقتباس » منها الى الترجمة ، وهنا فقط يمكن أحداث التغيير ، فبدل « الخوارج » ، « شيخا » ويصبح « جوزيف » ، « يوسف » أو حتى « عوضين » ٠٠ بينما تقتضى الترجمة الاحتفاظ بالاسماء والمسميات كما هى ، فنقول « ميشيل » وليس « ميخائيل » ونقول « السناحة ١٤ » وليس « ٢ بعد الظهر » ونبقى على القمر مؤنثا والشمس مذكرا .

وقى هذا يقول ناقد (التايمز) بعد قراءته لمسرحية توفيق الحكيم : « ٠٠ يصدم العقل الغربى بأشياء غير مألوفة ، ففى حين ان القمر عندنا مؤنث نجد ان الوزير عندهم اسمه « قمر » وان شهر زاد « التى تعنى الشمس هى عندنا مذكرة » .

أما فكرة « المياة الاقليمية » التى يدخل فيها النص الاصلى ليتحول الى نص محلى ، فهى غير واردة ، لأنه ليس من المعقول ان يرتدى المواطن الغربى جلبابا لمجرد انتقاله من بلد الى آخر ،

فضلا عن تغيير لهجته وعاداته وتقاليده ومفاهيمه ذاتها ٠٠ وهل تصبح مثلا سفينة الشحن بما عليها من بضائع ، أو باخرة الركاب بما فيها من مسافرين ، بنمية لجرد عبورها أو رسوها فى قناة بنما ؟

فى أوروبا ، بكل لغاتها المختلفة ، يستخدمون كلمة « يوم سعيد » فى تحية الصباح ، بينما نستخدم نحن كلمة « صباح الخير » أو « صبحك الله بالخير » .

والترجمة الأمينة ، لن تفسد الأدب بأى حال اذا هى حافظت على التعبير الأول عند نقله الى اللغة العربية وعلى التعبير الثانى اذا هى نقلته الى اللغات الأجنبية .

وكثيرا مايحدث هذا عند نقل الأمثلة الشعبية لكل امة من الأمم والطبيعى أن ينقل المثل كما هو ، ولا مانع من ذكر المثل المقابل له فى اللغة المنقول اليها النص الأسمى فى الهامش .

فاذا انتقلنا الى صيغ الاستعارة والكناية البلاغية ، وجدنا ان تشبيه الرجل بالجمل فى اللغة العربية يعنى وصفه بالصبر والقدرة على التحمل ، وهو تشبيه لا يعنى شيئا فى اللغات الأجنبية . بينما تشبيه الرجل بالأسد يدل على المعنى المقصود ، فى أية لغة من اللغات ٠٠ وفى فرنسا يستخدمون تعبير « بقرتى العجوز » للدلال والمداعبة ، وهو تعبير قد يؤخذ فى أى وطن آخر على أنه اهانة .

ويبقى الشعر من مشكلات الترجمة المستعصية ، ذلك ان نقل المضمون دون الشكل يفقد الشعر جرسه وإيقاعاته أو موسيقاه ، وهل يمكن ترجمة الموسيقى ؟

لذا فان عملية « نقل المعنى » ينبغى أن تصبحها عملية « نقل المبنى » ايضا حتى يتم نقل « الكائن » بأكمله ٠٠ وهنا ترتفع « الترجمة » بامانتها وصياغتها البلاغية والأدبية الى مستوى التأليف الابداعى ذاته .

قضية الترجمة ٠٠ وروح النص

على الرغم من أهمية الترجمة ، ودورها الفعال الذى تلعبه فى التعريف بالحضارات والثقافات والتقريب بينها ، منذ مطلع عصر النهضة وحتى الآن ٠٠ فضلا عن تبادل وجهات النظر بين الحكومات وعقد الصلات بين الشعوب والتواصل بين الاجيال ، وبالرغم من الجهد المبذول فيها وعناصر الابداع الادبى والفنى التى ينبغى أن تتوافر لها فلا يزال ينظر اليها على أنها عملية آلية أو مهنة أو حرفة أو بالكثير أدب من الدرجة الثانية ٠٠ وهى نظرة قاصرة علينا هنا فى مصر وفى مصر وحدها ، وفى الآونة الاخيرة بصفة خاصة ، فما هكذا كانت النظرة خلال عصر رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده التبشيرى وعصر عباس العقاد وطه حسين التنويرى وعصر غنيمى هلال وحسن عثمان التوجيهى ٠٠ فان أكثر الدول تخلفا فى افريقيا السوداء وفى الوطن العربى ، أصبحت تهتم بالترجمة والمترجمين ، اهتماما أدبيا وماديا ، كبيرا وملموسا معا .

ففى الكويت مثلا تحتسب الكلمة الواحدة بثلاثين مليما ، بينما تحتسب فى مصر بستة مليمات فقط ، ولا يزال مشروع رفع هذه القيمة الضعيفة فى ظل ارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة الى عشرين مليما معطلا فى كل مراحله وعلى جميع المستويات .

ولا يتوقف الاهمال والازدراء عند هذا الحد ، فقد وصل من ناحية الى التصدى الغريب والعجيب حقا لايقاف سلسلة « روائع المسرح العالمى » وسلسلة « روايات عالمية » اللتين كانتا تصدران بانتظام عن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » وهى الهيئة الحكومية

الوحيدة التى يحقق لنا محاسبتها والاعتماد عليها ، الى أن أعاد د. سمير سرحان إصدارهما من جديد ٠٠ ومن ناحية أخرى وصل هذا الإهمال وذلك الإزدراء الى الوقفة الغريبة والعجيبة فعلا التى وقفها غالبية الاعضاء - وهم من الاساتذة والدكاترة الاجلاء - فى لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ضد منح الجائزة لأساتذة ودكاترة هم أيضا أجلاء لهم فضل كبير وجهد وفير وانتاج غزير ، لا يستحقون عليه الجائزة التشجيعية بجنيهااتها الألف فحسب فقد تعدوا مرحلة التشجيع وان لم يصلوا بعد الى مرحلة التقدير ، ولذلك أصبح انشاء الجائزة الوسط بين التشجيعية والتقديرية ، ضرورة ملحة لهؤلاء ولن فى مستواهم واعمارهم ، ليس فيما يتعلق بالترجمة وحدها ولكن فى كافة فروع العلم والمعرفة .

فإذا كان هؤلاء الاساتذة والدكاترة - اعضاء لجنة الترجمة - قد رأوا أن اعمال الاساتذة الدكاترة المقدمة للمجلس ، لا ترقى الى مستوى الجائزة ، وهو عكس ما قاله النقاد الذين كتبوا عن تلك الأعمال ، والقراء الذين اقبلوا على قراءتها ، فلماذا لم يستخدموا حقهم - كما تنص اللوائح والقوانين - فى ترشيح واختيار اعمال لأساتذة ودكاترة آخرين قد ترقى الى المستوى الذى يتطلبونه ٠٠ والا فانهم يحكمون بخلو الساحة وخوائها .

وهم بالمنع وعدم المنح ، يساهمون ولا جدال فى اعاقة حركة الترجمة بانصراف الرواد والمجيدىين والشباب عن العمل المهنى فى محرابها والسباحة الصعبة فى مجالاتها .

ولعلها تكون مناسبة جادة وجيدة لطرح القضية على مستوى وزارة الثقافة باجهزتها المختصة وعلى الرأى العام الثقافى لحل كل هذه المشكلات وكل تلك المتناقضات من أجل ازدهار حركة الترجمة قبل أن تتوقف الى الابد .

الندوات الأدبية ٠٠ الحركة والركود !

منذ فترة طويلة والندوات الأدبية ، شأنها شأن الأنشطة الثقافية الأخرى ، تعاني من ركود وهبوط ، قد يوصلانها الى حافة الاختفاء والاندثار . ٠٠ ركود يتمثل فى قلة عدد الندوات المنعقدة خلال الموسم الثقافى الواحد فى كافة الجمعيات والهيئات الثقافية الرسمية والجهاميرية والخاصة ، كما يتمثل فى قلة عدد الرواد الذين يرتادون هذه الندوات متحدثين أو مستمعين . ٠٠ وهبوط يتمثل فى مستوى القضايا المطروحة والمناقشات الدائرة . ٠٠ على الرغم من تكاثر هذه الجمعيات وانتشارها ، ورغم ارتفاع نسبة المثقفين والمهتمين بالثقافة ، ورغم تضاعف القضايا المثارة والملحة التى تحتاج الى حلقات بحث ودراسة وليس فقط الى ندوات . ٠٠ مجرد ندوات !

نقول هذا بعد أن تفشت تلك الظاهرة واستشرت ، ونقوله أيضا وبصفة خاصة بعد الندوتين اللتين أعلن عنهما « قصر ثقافة مصر الجديدة » و« دار الأدباء » ، فقد تخلف أغلب المتحدثين والشعراء بدون عذر قاهر أو سبب معقول ، كما خلت القاعتان على سعتهما من الرواد . ٠٠

لماذا ؟ !

هذا هو السؤال الكبير والهام الآن !

أما الاجابة فتجىء متضمنة لتحليل الظاهرة ، استنتاجا وملاحظة ودراسة . ٠٠ أولها وفى مقدمتها جميعا تجاهل وسائل الاعلام الاناعية والتليفزيونية والصحفية لكافة الندوات سواء بالتسجيل أو التعليق أو الإشارة . ٠٠ ثم انعدام الصلة والتواصل

بين منصة المتحدثين وقاعة المستمعين ، وفقدان الندوات للغة الواحدة المشتركة بين قطبيها ، وأخيرا عدم تفرغ المثقفين من أصحاب الرأى نشرًا وشعرا وعدم استعداد المثقفين وتهيؤهم للتزيد بالزاد الثقافى ٠٠ فالكل مستغول بالاحتياجات الأساسية والمتطلبات الرئيسية فى دوامة الحياة ، بحيث لا يبقى فى الانسان أى جهد يبذل للتنقل والتثقف ، فيركن الى الاسترخاء امام التليفزيون أو الاكتفاء بتحمل مشاق الانتقال الى أماكن اللهو ، سواء فى السينما التجارية والمسرح الخاص أو الملامى بالنسبة للقادرين أو النوادى بالنسبة لمتوسطى الدخل أو المقاهى بالنسبة للبسطاء ٠٠

وكما تضمن تحليل الظاهرة ٠ الاجابة ، فانه يتضمن أيضا الحلول وهى سهلة ويسيرة ومتعددة ٠ وهذا واضح ولكنه لا يحتمل المغالطة ولا يتحمل المراوغة ، والا تحول المرض المعارض الى داء مستعص يجلب أمراضا أخرى أشد خطرا وأكثر خطورة ٠٠

وما يقال عن الندوات الأدبية ينطبق كذلك على الندوات الفنية والعلمية والنقابية وما الى ذلك ، ليس كذلك ؟

وجهة نظر غوييه ٠٠ فى الأدب العربى

على الرغم من ظهور ترجمات كثيرة ولكنها متناثرة ومتباعدة لانتاج عدد من الكتاب العرب ، الا ان عام ١٩٦٤ يعد البداية الحقيقية لاهتمام دور النشر الفرنسية بالأدب العربى المعاصر ٠٠ فقد عنيت « دار سووى » بإصدار ثلاثة كتب ضخمة تحت عنوان موحّد « مختارات من الأدب العربى المعاصر » قدم لها المستشرق الفرنسى المعروف « جاك بيرك » ٠٠ أولها عن « الرواية والقصة القصيرة » وثانيها عن « الدراسات الأدبية » وأخرها عن « الشعر » ٠٠ ثم أصدر الناشر الفرنسى « جيروم مارتينو » عام ١٩٧٠ سلسلة باسم « المكتبة العربية » تعنى بترجمة أبرز الأعمال العربية فى مجالات الأدب مثل « زقاق المدق » لنجيب محفوظ و « تحولات الهجرة فى اقاليم الليل والنهار » لأدونيس، وفى العلوم الاجتماعية مثل « البناء مع الشعب » لخسن فتحي وفى العلوم السياسية مثل « مفاتيح الحرب » لبيّنلر روسى .

وقد خلص « جاك بيرك » فى مقدمته لثلاثية « الأدب العربى المعاصر » الى أن هدف هذه الثلاثية هو « عرض حياة ومسكلات الوطن العربى من وجهة نظر كتّابه » حيث « الفصحى هى اللغة المشتركة بين الدول العربية ، والقرآن هو البيان وهو الأسلوب ، والاسلام هو المنهج وهو الدستور » .

ومع هذا فقد حاول أدباء المهجر « جبران ونعيمة وإيليا أبو ماضى » إعادة اكتشاف الطبيعة والحياة ، وحاول الرثدان

المصريان « طه حسين والعقاد » نقل التراث الغربى والافادة منه ، وحاول شعراء الوطنية « شوقى وحافظ ومطران » التعبير عن الذات الاصلية ٠٠ وسباهمت المجالات المتخصصة « المجلة والهلال والكاتب » فى مصر و « الأديب والآداب وشعر » فى لبنان و « الفكر » فى تونس ، فى تعميق الفكرة القومية ٠

ثم يستعرض « بيرك » كفاح الشعب العربى وصراعه ضد الاستعمار من أجل الاستقلال والحرية ، فيذكر أحد أبيات « أبو القاسم الشابى » الشهيرة :

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القسدر

كتموزج لشعر الحماسة ، تلك الحماسة التى امتدت الى الرواية والقصة القصيرة والمسرح والمقالة والفلسفة أيضا ٠

وتستمر المسيرة العربية فى تقدير « بيرك » برغم المعارك الفكرية الكثيرة التى اثارته وتثيرها الاجيال الجديدة وأبرزها ذلك الصراع التقليدى بين القديم والحديث وأضمنها ذلك الصراع الشكلى بين مدرستى الفن للفن والفن الملتزم وأهمها ذلك الصراع المصيرى بين القومية والوطنية ٠

انها وجهة نظر غربية فى أدبنا العربى المعاصر ، مطروحة للمناقشة وقابلة للمعارضة والتصحيح ، ولكنها وجهة نظر محايدة فى النهاية ٠٠ فان جاءت غير كاملة أو مكتملة ، فلا شك أن استعراضنا للآراء التى وردت فى الكتب الثلاثة مصحوبة بمختارات أدبية ، يمكن أن يدعم وجهة النظر الغربية هذه فى أدبنا العربى المعاصر ٠

دراسات غربية

الظواهر الأدبية • • بعد ضرب هيروشيما

هذه دراسة حول السنوات التي تلت السادس من اغسطس ١٩٤٥ ، يوم القى الجيش الامريكى القنبلة الذرية على هيروشيما ، ليبدأ العصر الذرى ويعلن الانسان عن انتصاره واندثاره فى الوقت نفسه •• هذه السنوات التالية على الحدث غير الانسانى اعادت طرح الاسئلة من جديد : لماذا الالتزام ؟ •• ما هو الانسان ؟ •• ماهى السعادة ؟ ماهى اللغة ؟ ماهو الفكر •• الى اين يتجه الأدب ؟ •• واسئلة كثيرة اخرى ••

ولقد بدأ سارتر هذه الاسئلة ، ففى عام ١٩٤٧ طرح سؤاله الشهير « ماهو الأدب ؟ » •• ومنذ هذا التاريخ وحتى استقرت فرنسواز ساجان على عرش الرواية والأسئلة لا تكف ولا تنتهى ، حتى سالت بدورها •• ماهى السعادة ؟ •• أما الان روب جرييه فقد تسامل بقوله « ماهى الرواية ؟ » •

وفى روايته ندجا يلقى أندريه بریتون بهذا السؤال « من اكون ؟ » •

وساد الشك وسيطر حتى أن ناتالى ساروت وضعت كتابا كاملا أسمته « عصر الشك » وبعدها ولدت كلمة الأزمة وأصبحت صفة ملازمة للعمل الابداعى ، أى عمل ابداعى ٠٠ أزمة الانسان ، أزمة الانسانية ، أزمة الأدب ، أزمة الفكر ، وهكذا ٠٠ وأصبح السؤال الأخير هو : من أين جئنا ، وإلى أين نتجه ؟

ووجد فرنسوا موريك أن الخلاص فى المقاومة مقاومة أى شىء يدخل فى نطاق الشر من أجل تحقيق الخير ، بدءا بالمقاومة العسكرية وحتى المقاومة الفكرية .

واتحد المفكران سارتر وكامو دون سابق اتفاق حول التوجه للشباب ومناقشة قضاياهم ووضعه أمام مشاكله ومصيره واشراكه فى فلسفة الحياة والحكم ، ومن هنا ظهرت كلمة الالتزام كما تأكدت كلمات المقاومة والثورة والمشاركة والعالم الواحد ثم الاشتراكية والحرية

أما الوجودية ثم العبث واللامعقول فقد ظهرت مع انتاجهما الأدبى والفلسفى ، فقد كتب سارتر ثلاثيته الشهيرة سبل الحرية وهى سن الرشيد والقناعة فى الذات وكتب كامو الغريب وأسطورة سيزيف وسوء التفاهم وكاليجولا والطاعون وحالة الحصار .

وأكدت سيمون دى بوفوار هذا الاتجاه بانتاجها الانثوى المتميز ويصل الى الساحة الفكرية والأدبية مجموعة من الشباب - أصبحوا الآن أساتذة - هم كتاب العبث أو اللامعقول فى المسرح والرواية والقصة والسينما كذلك ٠٠ وقد ترجمت أعمالهم الى ١٨ لغة على الأقل ٠٠ أشهر هؤلاء وأسبقهم الى النشر والجمهور هو صمويل بيكيت مؤلف فى انتظار جودو ونهاية اللعبة ثم أوجين يونسكو مؤلف المغنية الصلعاء والخرتيت ثم ناتالى ساروت مؤلفة انفصالات وعصر الشك ثم الان روب جرييه مؤلف الغيرة ونحو رواية جديدة ثم

كلود سيمون مؤلف الريح ثم ميشيل بيتور مؤلف التعبير ثم روبير بانجيه مؤلف باجا ثم مارجريت دورا مؤلفة هيروشيما حبيبي ٠٠

ولكن ماذا بعد هذه الموجة ٠٠ لا شيء ٠٠ انحسار شديد لها دون ظهور موجات جديدة بعدها حتى الآن ٠٠ وهذه هي دورات التاريخ ٠

وكما لعبت الكتب دورا أساسيا في الفكر والأدب لعبت المجلات الملتزمة دورا رئيسيا فيهما فضلا عن السياسة والأخلاق ٠٠ من هذه المجلات «الازمنة الحديثة» ٠٠

وبعد الكتب والمجلات ، لعبت الكهوف ، كهوف الشباب دورها البارز وخاصة كهف تابو في حي سان جرمان حيث تحولت علب الليل الى ساحات للحوار والمناقشات قادها ريمون اكونو وبوريس قيان وشخصيات كثيرة أخرى ٠

وتم تتخلف الموسيقى عن الركب فظهر الجاز في حدائق الشانزليزيه مع جوليت جريكو ٠

وظهرت أسماء جديدة تركت بصماتها واضحة ، منها من رحل مبكرا ومنها من استمر فترة أطول من البقاء والعطاء ٠

سانت اكسوييري الذي ترك في عام ١٩١٨ رواية لم تكتمل بعنوان «القلعة» ، وجورج برنانو الذي ترك فرنسا الى تونس كما ترك روايته «حلم شرير» لتنتشرها جمعية اصدقاء برنانو التي تكونت بعد رحيله ثم أصبحت ظاهرة ثقافية وغنية بعد ذلك ٠٠ ومارسيل ايميه مؤلف المسرحية الشهيرة «رأس الآخرين» ، وجوليان جراك الذي فاز بجائزة الجونكور وأصدر عام ١٩٥٨ ديوانه «شرق في الغابة» ولكنه رفض الجائزة ، وكانت أول مرة يرفض فيها كاتب جائزة معترف بها ٠٠ وهنري ميشو الذي كتب عنه أندريه جيد دراسة بعنوان «لنكتشف ميشو الشاعر» ٠

ولعبت حركة الترجمة دورها فى تقريب المسافات بين أوروبا من ناحية وأمريكا من ناحية أخرى ٠٠ ففى انجلترا ظهر جراهام جرين ، وفى ألمانيا ظهر كافكا وكيركجارد أما فى أمريكا فقد عرفت أسماء هيمنجواى وفوكنر وشتاينبك وويليام سارويان وهنرى ميللر وأيروين شو وجون أوهارا وترومان كابتوت ٠

فى هذه الظروف بدأت ظاهرة جديدة فى الانتشار وهى الجوائز السنوية التى تخصصها دور النشر الإهلية بعيدا عن الجوائز الرسمية التى تمنحها الدولة ممثلة فى الأجهزة التابعة لها ٠ من هذه الجوائز التى نالت شهرة واسعة قيما بعد وحتى الآن: الجونكور ، رونودو ، فيميننا وميديسيس ٠

ووصل الى الساحة جيل جديد من الكتاب بعد أن رحل أندريه جيد فى فبراير عام ١٩٥١ ، دون أن يكون هناك ارتباط عضوي بين هذا الجيل وذاك الميلاد ٠

فى البداية جاء روجيه فيمبيه ولكنه لم يستمر ، وسجل عدم استمراره ظاهرة أخرى ، فقد أخذ الكثيرون يلمعون بسرعة ثم ينطفئون بالسرعة نفسها ونذكر منهم : بلوندان - لوران - فيدالى - ديوان ٠٠ ولم يزل شهرته غير فيليسيان مارسو وجان كوكتو ثم فرنسواز ساجان ٠٠ ولعت ساجان لتعود المرأة الى عالم الأدب بعد فترة احتجاب طويلة وليصبح للمجلات صورة فتاة غلاف أدبية ، حتى أن مجلة أدبية جديدة أسمت نفسها « الباريسية » وضعت على غلاف أول عدد صورة ساجان ٠

ومع هذه الموجة الجديدة بدأت تتكون نوادى الأدب وهى تشبه النوادى الثقافية والجمعيات الثقافية وروابط الأدب ودور الأدب ، فتكون النادى الفرنسى للكتاب ونادى الكتاب الأفضل ونادى الناشرين ، وقد عملت هذه النوادى منذ البداية على تشجيع الأدباء وتوزيع الجوائز ونشر الانتاج الأول ٠

وخرجت الى الوجود مجلات مصورة شديدة الثراء من الناحية
الطباعية والفنية ولكنها تهتم فى الوقت نفسه بالأدب مثل بارى
ماتش وجور دو فرانس ثم كراسات السينما التى بشرت بالموجة
الجديدة فى السينما بمجرد ظهورها •

ومن الظواهر التى تسجل ايضا رسوخ الكتاب الكبار رغم
انتشار كتاب الجيل الجديد ومواجهاتهم الجديدة ، نذكر من هؤلاء
أندريه بريتون وفرانسوا مورياك ولوى أراجون ، وفى مجال المسرح
جان أنوى وجان فيلار وجيرار فيليب من حيث التأليف والخراج
والتمثيل •

وظاهرة أخرى كان لها تأثيرها فى العصور الماضية ثم
توقفت لفترات طويلة ولكنها عادت فى اطار التجديد والتيارات
الجديدة ، وهى ظاهرة الرسائل المتبادلة بين الكتاب والتى تمثل
فى نهاية الامر مقطوعات أدبية ومذكرات شخصية •

هذه الرسائل والمراسلات هى التى سجلت ظاهرة أخرى
وهى وفود عدد كبير من الأدباء والفنانين الى باريس ليكتبوا اما
بلغاتهم الأصلية ثم يترجمون ما يكتبون أو يكتبون مباشرة بالفرنسية
فى اطرل الموجات الجديدة : بيكيت من ايرلندا ، سيوران ويونسكو
من رومانيا ، اداموف من القوقاز ، ناتالى ساروت من روسيا ،
شحادة من لبنان ، خوذيه لويى دى فيللا لونجا وأرابال من اسبانيا ،
كارلو كوسيونى من ايطاليا ، ادوار جليسون من الانتيل ، ايميه
سينزير من الكاريبى ، سنجور من السنغال ، جاك كودلو وأن هير من
كندا ، محمد ديب ومولود معمري وكاتب ياسين من الجزائر
دربس شرابى وظاهر بن جلون من المغرب ، وأندريه شديد وجويس
منصور والبير قصيرى من مصر •

أما النقد الأدبى فقد وجد ما يضيفه الى تاريخه عندما اهتم

رولان بارت وجاستون باشلار بتحليل اللغة الى جانب العناصر الأدبية الأخرى وكانت أهم مؤلفاتهما فى هذا المجال « درجة الكتابة » للأول و « شاعرية المساحة » للآخر .

وهكذا تسجل هذه الدراسة مرحلتين هامتين فى تاريخ الأدب – والفكر والفن – منذ دمرت القنبلة الذرية الانسان وأحلام الانسان حتى يومنا هذا ٠٠ المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٣ وهى الزاخرة بكل الظواهر ، أما المرحلة الثانية فهى التى تبدأ من عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٨٣ والتى لم تسجل أية ظاهرة أدبية أو فكرية أو فنية جديدة يمكن أن تضاف الى ما سبق من ظواهر ٠٠ وتلك ظاهرة فى حد ذاتها .

الآدب وعلم النفس ٠٠ ماذا حدث ففهما ؟ !

فى ختام الربع الثالث من القرن العشرين ففصبأ التعليق
الاحصائى والتحليلى على ظاهرتى علم النفس والآدب فى السنوات
العشر الأخيرة ، أمرا له طرافته وأهميته ٠

فى علم النفس الفرويدى

الظاهرة الملفتة فى مجال علم النفس فى السنوات العشر
الأخيرة أن كل تلامذة فرويد أصبحوا معارضين له ٠٠ والغريب فى
الأمر أن المفسرين يعتبرون هذا انتصارا للأستاذ « سيجموند فرويد »
ففى عام ١٩٧٢ ظهرت آراء معارضة لما عرف بـ « عقدة
أوديب » ، وقد ركزت هذه الآراء هجومها المفاجئ على ما فمكن
تسميته بـ « أسرية » فرويد التى تتمثل فى الثالث الأوديبى المعقد
« الأب والأم والأبن » كما يقول « دولوز » و « جانقارى » اللذان
يتهمان فرويد بنسيانه لدور « المربية » ذلك الدور الغامض القادر
على التأثير فى كثير من النوازع الطفولية ٠٠ وبهذا الدور تتم الحلقة
البورجوازية التى عرفت أولا فى فيينا وحاولت أن تكون نواة نفسية
للإنسانية جمعاء ٠

وقد تزعم هذا الاتجاه المضاد لتحاليل فرويد وتحليلاته ،
عدد من العقول الكبرى مثل « آرتو » و « دوشان » و « راين »
و « لاكان » وغيرهم ٠٠ كما ساهمت فى نشر هذه الآراء المضادة
عدة مجلات متخصصة فى علم النفس مثل « مجلة علم النفس

الجديدة » و « كراسات التحليل » و « العلاج النفسى » و « عادة التحليل » وغيرها .

ولعل النصوص الأصلية التى جاءت فى « مراسلات » فرويد المتبادلة مع « فيستر » و « كارل أبراهام » و « لوسالموى » و « ارنولد زقاريچ » وكذلك أبحاث « كليه » و « فينيكوت » و « بيتلهاهيم » حول « الطفل الصغير والجانب الأنثوى » وأبحاث « ربك » و « بالانت » و « سيبينز » و « بوفيه » و « جرود بك » حول « الطفل والتشويش النفسى » لعلها تفتح الطريق امام تلك العلاقة الخفية والقوية معا بين علم النفس من ناحية والتاريخ والاقتصاد السياسى والفن الاستاتيكي والنقد الأدبى والانثروبولوجيا أو علم الانسان من ناحية أخرى .

أما « مفردات علم النفس » التى قدمها « لابلانز » و « بوتتالى » فحاول أن تقترب بصورة محددة تاريخية ونقدية وتحليلية وموضوعية من فكر فرويد . . فهى تعمل على انصاف « الأدب المؤسس » فهو « سيد المعرفة » بالنسبة لعلماء النفس، أو هو « سيد الحكمة » بالنسبة للفلاسفة و « سيد الهدم » بالنسبة للمساساة .

ولقد ظهر من « المدرسة الجرية » علماء نفس يدينون لفرويد بالأبوة من أمثال « فيرنفشى » و « خيرمان » و « روهاهيم » . . أما « فيرنفشى » فقد عاد الى « الأم الأصل » ليصور من خلال قصيدته العلمية « تالامسا » الأصول الجنسية للانسان .

وأما « هيرمان » فقد أكد من خلال كتابه « الغريزة الأسرية » الجانب الأنثوى النابع من عاطفة الأمومة فى جسد وتكوين كل انسان سواء أكان نكرا أم أنثى . . وأما « روهاهيم » قد رأى من خلال كتابه « أبواب الحلم » أن نظريات فرويد اذا طبقت فى المجتمعات البدائية وخاصة فى الميثولوجيا الاسترالية ، تنتمى جميعها الى تلك

الألة المظلمة التى نسميها « الحلم » ٠٠ أو هو يريد أن يرجع كل نظريات فرويد إلى أصولها فى « الاحلام » .

وينفرد « فيلهيلم رايش » بمجموعة من المؤلفات يكفى ذكر عناوينها لنقف على مضامينها والمقصود بها مثل « التحليم التخصى » و « سيكولوجية الحشود الفاشية » و « حملة الاخلاق الجيشية » و « الثورة الجنسية » و « مقتل المسيح » و « الناس والدولة » ثم « رايش يتحدث عن فرويد » .

حقا ، لقد تحدث الجميع عن « فرويد » حتى وهم يختلفون معه أو وهم يختلفون حوله ٠٠ فهل يعد هذا انتصارا لفرويد فى السنوات العشر الأخيرة ؟

فى الأدب الإيحائى :

اما الظاهرة الملفتة فى الأدب المترجم والمنشور فى السنوات العشر الاخيرة فتمثل الطبقات الشعبية وأبرزها « كتاب الحبيب » الذى قائم بدور فعال فى تعريف جمهور القراء بكتاب كانوا قد لمعوا واستقروا بالفعل وكتاب آخرين حالت الطبقات المرتفعة الثمن بينهم وبين عامة القراء ٠٠ وأصرخ مثال على ذلك الروائى الشهير هنرى جيمس ٠٠ صحيح أن بعض رواياته بدأت تظهر ترجمات لها بالفرنسية عام ١٩٢٩ ولكن « كتاب الحبيب » لم ينشر له غير عام ١٩٦٣ ثم عام ١٩٧٣ معظم رواياته التى حققت أرقاما قياسية فى التوزيع ٠٠ وهكذا عرض « هنرى جيمس » على المستوى الشعبى بعد أن كان معروفا لدى المثقفين فقط .

وما جدت لهنرى جيمس ينطبق كذلك على كل من ريلكه ونييتشه وفرويد وجرامسكى وغيرهم ٠٠ كذلك جدت نفس الشيء بالإنسية لكتاب الرواية الجديدة فى فرنسا ٠٠ فكتاب « عصر الشك » الذى

نشرته « ناتالى ساروت » عام ١٩٥٦ لم يعرف ولم يقم بدوره فى تعريف الرواية الجديدة الا عام ١٩٦٤ عندما نشر فى « كتاب الجيب » فى الوقت الذى ظهر فيه كتاب الان روب - جرييه « نحو رواية جديدة » .

وتكشف السنوات العشر الأخيرة عن عدد من الكتاب عرفوا فى فرنسا أكثر مما عرفوا فى بلادهم نتيجة لهذه الطبعة الشعبية السحرية « كتاب الجيب » :

لويس كارول البريطانى الذى يسير فى خط هنرى جيمس من حيث اهتمامه بالتحليل النفسى العميق واهتمامه كذلك باللغة وبأسلوب ، الأمر الذى لم يعد فى حساب الكثيرين من الكتّاب المعاصرين .

فيتكليفتش اليوغوسلافى الذى يكتب بطريقة متقدمة قليلا تستدعى أربعين سنة على الأقل لكى يتفاعل معها القارئ المعاصر . فما زالت الرواية الجديدة تضع هذا القارئ فى حيرة . ولهذا لعب « كتاب الجيب » دورا رئيسيا فى تعريف القراء بهذا الكاتب الجديد خاصة وقد تصدرت رواياته دراسات مبسطة وواضحة . وإلى جانب فيتكليفتش نذكر « روبير فالسر » و « برونو شانز » و « مارسيل بليشر » .

« بيتر هارتلنج » الألمانى الذى يركز فى كتاباته على اللغة ومدى قصورها عن التعريف وعن التقريب . فهو الوجه المعاصر ليونسكو أول من تعرض لهذا الشكل وتلك القضية . أما هارتلنج فهو يقدم « دون جوان » من جديد على اعتبار أن اللغة لم تكشف عن حقيقته عبر التاريخ . وإلى جانب هارتلنج يظهر « جنتر جراس » من جديد و « جوزيف روث » الذى نشر عام ١٩٧٣ روايته المسماة « الليلة الثانية بعد الألف » . ثم نذكر « جرجن بيكون » و « بيتر هانك » و « هلمت هيسنباتيل » .

« جابرييل جارسيا ماركيز » من كولومبيا وان كان يذكرنا بدوس باسوس وفوكنر ، بل وهيمينجواي ٠٠ ولكن ماركيز يعبر عن أدباء أمريكا اللاتينية خير تعبير ٠٠ وهو يشترك مع الكاتب الكوي « ليزاما ليما » فى تقديم شكل جديد ومتطور للعمل الأدبى ، فهما يلتزمان بقضايا بلادهما ولكنهما فى الوقت نفسه يعبران عن هذا الالتزام بالشكل الجديد الذى يتفق وروح العصر ، الى درجة أنهما كثيرا ما يقتربان من الشكل « اللامعقول » أو « العبث فى الأدب » ٠

« ايطالو سفيغو » الايطالى الذى يعد من الكتاب والتعبيريين ٠٠ فهو على عكس الادباء الايطاليين الذين يتمسكون بالواقعية ، او الواقعية الجديدة ، يتجه الى اعماق النفس البشرية ليستخلص بطريقة منفردة ونفسية مكونات ومكونات هذه النفس المعقدة ٠٠ والى جانب « سفيغو » نذكر « كارلو ايميليو جادا » و « ليونارد سياسيا » ٠

« انطونيس ماراكيس » اليونانى الذى شارك مع مواطنه « تسيركاس » فى وضع الأدب اليونانى فى اطار العصر بعد أن ظل يعيش على تراثه فترة طويلة ٠

وفى النهاية لا يمكن أن ينسى الراصد للحركة الأدبية فى السنوات العشر الأخيرة أكثر الاسماء لعانسا فى تلك الفترة ، السوفيتى « الكسندر سولجنستين » ٠

الرواية الفرنسية ٠٠ والفائزون بها

مع مطلع كل عام ينشط المحفل الثقافى فى فرنسا ويستمر النشاط طوال الموسم كله وفى نهاية كل عام يكرم الكتاب والشعراء والنقاد الذين اضافوا جديدا الى حصاد السنين ٠٠ يقدم الانتاج الى لجان المسابقات وبعد البحث تعلن النتائج وتمنح الجوائز .

من أهم هذه الجوائز جائزة الاكاديمية وجائزة الجونكور وجائزة روتودو وجائزة فيمينا وجائزة ميديسيس وجائزة انتراييه - وكلها فى الرواية - وجائزة الاكاديمية فى الأدب - وجائزة ابولينير فى الشعر وجائزة سانت بوف فى النقد الى جانب جائزة النقد الادبى وجائزة النقاد ثم جائزة الدولة الكبرى فى الادب .

أما هذه الجائزة فهى أحدث الجوائز على الإطلاق اذ انشئت سنة ١٩٥١ بينما انشئت معظم الجوائز الأخرى سنة ١٩٣٨ .

ان كل جائزة من هذه الجوائز انما تكتسب قيمتها الحقيقية من الذين يفوزون بها والأعمال التى تؤدى الى فوز أصحابها .
من بين هذه الأسماء وتلك الاعمال نذكر على سبيل المثال .

جبرييل مارسيل (٥٨) سان جون برس (٥٩) جاستون باشلار (٦١) جاك ماريتان (٦٣) جاك اوديبيرتى (٦٤) جائزة الدولة الكبرى فى الادب . جبرييل مارسيل (٤٨) جاك ماريتان (٦١) جائزة الاكاديمية فى الأدب . اليريكامو (٤٧) عن (الطاعون) فرانسواز ساجان (٥٤) عن (صباح الخير آيها الحزن) الان روب - جرييه (٥٥) عن (العراف) جوزيه كابانيس (٦١) عن (بهجة النهار)

روبير بانجيه (١٣) عن (التحقيق) جائزة النقاد • الساتريوالية (٤٤)
 عن (العقبة الاولى) سيمون دوبوفوار (٥٤) عن (حكاه الصين)
 رومان جارى (٥٦) جائزة الجونكور • ميشيل بوتور (٥٧) سيمون
 جاكمار (٦٢) جائزة رونودو • بييردو بواوفور (٥٠) عن (تغيرات
 الأدب كاستكس (٥١) عن (القصة الخيالية) ميشيل بوتور (٦٠)
 عن (فهرس) جائزة النقد الادبى • سانت اكسوبرى (٣٩) عن (أرض
 البشر) ميشيل سان - بيير (٥٥) عن (الارستقراطيون) جائزة
 الاكاديمية فى الرواية

وعن الرواية سنتكلم هنا •• وهنا سنتكفى بالكلام عن أهم
 جوائزها : الاكاديمية - الجونكور - رونودو ، من خلال ثلاثة
 فازوا بها مؤخرًا ••

فرنسوا نوريسيه

جائزة الاكاديمية الفرنسية •

• وفرانسوا نوريسيه ناقد أدبى (بالنوفيل لىتيرير) وروائى ظل
 فترة طويلة فى منطقة الظل الى ان كرمته أهم جائزة للرواية فى
 فرنسا وهى جائزة الاكاديمية •• ولد نوريسيه فى ٨ مايو سنة
 ١٩٢٧ ونشر أولى رواياته (الإنسان المتضرع) سنة ١٩٥٠ - ثم
 نشر فى السنة التالية رواية (الماء الرمادى) •

هذه الرواية الثانية كانت بداية (المرحلة الرمادية) فى حياة
 نوريسيه الأدبية والتي تشبه الى حد بعيد (المرحلة الزرقاء)
 فى حياة بيكاسو الفنية •• فكل من المرحلتين قد استمر خمس سنوات
 تغيرت الرؤيا بعدها الى العكس تماما •• فبيكاسو قد انتقل الى
 المرحلة الرمادية ونوريسيه قد بدأ مرحلته الزرقاء •

فى مرحلته التالية قدم نوريسيه بعد (الماء الرمادى) رواية

(أرمل أوتوى) (٥٦) (جسد ديانا) (٥٧) والذي أضرب بهاتين الروائيتين هو انهما وقعتا بين (الحب الحزين) لشاردون (واسمه الحقيقي جاك بوتلور ، روائى ولد عام ١٨٨٤) و (مرحبا بالحزن) لروجيه نيميه (١٩٢٥ - ١٩٦٢) .

فنورسبييه كان متأثرا بطريقة لواعية بفكر شاردون وبطريقة واعية بفن نيميه . ومن هنا جاءت هذه المرحلة أو روايات هذه المرحلة رمادية الرؤيا باهتة الشخصية ان جاز هذا التعبير الأخير .

وانتهت سنوات المرحلة الرمادية بالتخلص من تأثير نيميه والنظر من خلال عدسة غير عدسته فقدم نوريسبييه (أزرق كالليل) أربع رواياته وروايات موسم ٥٦ الثقافي في فرنسا بشهادة جميع النقاد الذين ظلوا عند رأيهم على الرغم من عدم فوز هذه الرواية بأية جائزة من الجوائز الادبية و (أزرق كالليل) قصة أهم ما يميزها هو أنها كانت تعبيرا عن (ضمير العصر) وصدى لما يدور في أفئدة شباب الستينات الفرنسى .

فقد جاءت تعبيرا صارخا عن (القلق السائد) الذى يهيمن على الجميع ويقود الكل .

غريب حقا أن تجيء المرحلة الزرقاء والجو ملبد بالغيوم وغريب أيضا أن تجيء الرواية الثانية في هذه المرحلة وهى رواية (البرجوازي الصغير) تعبيرا عن الرغبة فى القلق وحده .

ولكن ما الذى طرأ على فن نوريسبييه من تغيير وما الذى جعله يلون اسم روايته بهذا اللون (أزرق كالليل) الذى سميت به مرحلته الأدبية الثانية ؟ .

الواقع أن نوريسبييه أحس فجأة أنه لا ينتمى الى (اليمين) ولا يمكن أن ينتمى اليه . . . فهو يتمتع بالحرية والقدرة على الانطلاق

ولا يقدر أبدا على الوحدة والعزلة والترفع .. ومن هنا انحاز ومن
هذا التزام ومن هنا اختار الجماهير العريضة أو الشعب .

لذلك لم يعد غريبا أن يعبر عن احساس الجيل ومشاعره وأن
يرى (الوضع الراهن) أو (الحالة القائمة) بصورة المستقبل
أو حلم المستقبل .

فهو يصور مادة الواقع الحزين بلون الحلم السعيد ..
كالسينمائي الذى يصور لقطة عن البؤس ويلونها بلون فاتح أو رجل
المسرح الذى يختار ستائر وردية لشهد حزين أو المصور الذى يصيغ
امامية اللوحة بالوان داكنة تعبيرا عن موضوع الفكرة ثم يلون
الخلفية بالوان زاهية تعبيرا عن أمل الفكرة .

وهكذا رأى نوريسييه وهكذا فعل .. رأى القلق الذى حل
محل الحزن ، حزن الحرب العالمية وقلق المصير بعد الدمار الذى
خلفته الحرب العالمية .. وفعل ما من شأنه أن يساهم فى تخفيف
حدة التوتر .. فغطى مساحة أرضه السوداء بسمائها الزرقاء وغلف
نهار وطنه الداكن بليله الأزرق الذى لم يعد أسود .

فالليل كان قد ارتبط باللون الأسود واللون الاسود كان قد
أصبح صفة الليل .. وشاء حلم نوريسييه أن يجعل الليل أزرق لأول
مرة أصبح اللون الأزرق صفة من صفات الليل .

أما العمل الذى نال نوريسييه من أجله جائزة الاكاديمية فهو
رواية (قصة فرنسية) و (قصة فرنسية) هى نقلة جديدة فى الأدب
الميتافيزيقي من حيث جعله أدبا ثوريا فالملل والغيرة والحب مشاعر
صورها الكاتب بمنهج تراجيدى رفيع قابله على الوجه الآخر
تصوير واقعى وجريء انطلق المؤلف من فوق قاعدته بصراحة
واحيانا بوقاحة ليصل الى مقارنة دقيقة يعقدها بين العاصمة (باريس)
وضواحيها .. فالضواحي تصب فى العاصمة وتعود فتصدر الى

ضواحيها الفن والفكر والعلم جنباً الى جنب مع ما تجلبه لها من
انحلال والحاد وانقسام .

(مع نوريسيه ، لاتخشى شيئاً فهو أفضل من تُقدم بانتاح ادبي
خلال الفترة الأخيرة ، انه يتمتع بموهبة غالية وبقدرة كبيرة على
التعبير) .

هكذا قال هرفيه بازان قبل فوز نوريسيه . وعلى الرغم من
هذا فقد جاء فوزها بجائزة الاكاديمية مفاجأة لعنترات الصحفيين
الذين كانوا ينتظرون لحظة اعلان النتيجة التي توقعوا أن يكون
الفائز بها احد كاتبين لا ثالث لهما وهما جُون لوى كورتيس وروبير
ساباتيه .

ادموند شارل - رو

جائزة الجونكور

ادموند شارل - رو امرأة شابة من أسرة دبلوماسية قضت
طفولتها فى روما حيث كان والدها سفيراً لفرنسا لدى الفاتيكان .
عانت الى فرنسا بعد الحرب وبعد ان خاضت فرنسا غمارها همرة
فى موقعة فردوم عام ١٩٣٩ ثم فى الراين عام ١٩٤٥ ، جعلت
بالصحافة فبدأت فى مجلة (الـ) النسائية ثم مجلة (فوج) النسائية
أيضا والتى وصلت فيها الى منصب رئيس التحرير وظلت رئيسة
لتحريرها . الى ان استقالت لتتفرغ تفرغاً كاملاً للانتاج الادبى
هرباً من (هذا العمل الذى ياكل الوقت والفكر والحياة) على حد
تعبير ادموند نفسها .

و (نسيان باليزم) او الرواية التى فازت بجائزة الجونكور
كانت قصة قصيرة فى بداية الأمر وقبل ان تنشرها ادموند فكرت
فى اذابة احداثها وتحويل كثافتها الى سائل مرّن او الى رواية .

١٠٠ استغرقت هذه الرواية ثمانى سنوات من عمر كاتبتها هى نفسها السنوات التى قضتها رئيسة لتحرير مجلة (فوج) .

وفكرة الرواية تقوم على عقد مقارنة بين الحضارة الاصلية والعضارة الزائفة . وهى مقارنة نذكرنا بتلك التى عقدها نوريسيه فى روايته (قصة فرنسية) بين المدينة وضواحيها . ويبدو أن الاتجاه الذى يسود الآن بين كتاب الرواية فى فرنسا هو المقارنة للخروج منها بتأييد صريح وواضح للقيم الاصلية وادانة الحضارة الجنينة المعاصرة .

١٠١ اما مقارنة إدموند شارل - رو فتجمع بين باليرم الثغر الايطالى ونيويورك المدينة الامريكية . باليرم هى رمز لرقص النجاح كما يفهم فى المدن التى يقال انها متحضرة ونيويورك هى العكس تماما فهى تسعى الى النجاح وتؤمن به ايمانا مطلقا . والرواية بعد ذلك تبين ان الحياة الحقيقية تتمثل فى التواء للتقاليد والايمان بالماضى مع تطوير هذا الماضى والارتقاء به دون الوقوف عند حدوده الثابتة . وايطاليا ترمز بناء على هذا المعنى الى الحضارة الاصلية بينما ترمز امريكا الى الحضارة الزائفة والمبالغ فيها .

١٠٢ (انى أعرف أشياء كثيرة عن هذا العالم وما على الا ان انطلق . لأعبر عنه) .

هكذا تقول ادموند شارل - رو وهكذا تكتب . اما قولها فصدى لاجساسها بالحياة واما كتابتها فصدى لتأثرها بكتابتين ايطاليتين ابرزهما فاييرى لاربو . واعمقهما بيرانداللو .

وبينما تأثر توريسيه بشاردون وثييميه ثم سرعان ما نسيهما وانطلق صادرا عن ذاته مغبرا عن أعماله ، استطاعت ادموند ان

تصدر عن ذاتها هي الأخرى وأن تعبر عن أعماقها ولكن دون أن تنسى لاربو وبيراندلو وأن كانت قد نسيت باليرم وطن لاربو وبيراندلو وموطن طفولتها في الوقت نفسه .

ما هو إذن عالم ادموند وماذا تعلم عنه وكيف نقلته شريحة حية الى القارئ ؟

لاشك أن طفولة ادموند ونشأتها في إيطاليا قد شكلتا مفهومها عن الحياة حتى ترسب هذا المفهوم في اللاشعور أو اللاوعي وعندما وعت الطفلة كانت قد انتقلت الى فرنسا ، الى هذا المناخ العكسي المغاير تماما والذي ربما كان هو المقصود لا نيويورك التي وضعتها في مواجهة باليرم . ولكن الذي لا يدعو الى التاكيد الكامل لهذا المعنى هو أن ادموند عاشت فترة في امريكا مالمبثت أن سئمتها فعادت الى فرنسا .

هذا المزيج الجغرافي والتاريخي بين أوروبا (إيطاليا وفرنسا) وبين امريكا عاشته ادموند وعاشت درجات اختلافه وتفاوتته . . . أوروبا المفكرة بفلسفة سارتر وكامو وشعر أراجون وبريتون وأوروبا الفنانة بنحت رودان وجياكومتى ومسرح كريستان بيرار وحينئذى . . ثم امريكا الصناعية التي لا هم لها غير العلم ولا تسعى لها غير الوصول الى أقصى درجات العلم من أجل الدمار أو العمار على السواء وعلى حسب ما يحقق أحدهما أو لكلاهما من النجاح والسيطرة بعيدا عن كل فكر وكل فن . . هذان العنصران اللذان فشلت امريكا فيهما تماما .

تقع (نسيان باليرم) أول رواية لادموند في ٣٥٠ صفحة كلها ذكريات أو صور في اليوم تقلبه جيانا بطلة الرواية . . وجيانا (غريبة في نيويورك) ولكنها ترأس تحرير مجلة نسائية كبرى وتعيش مع (طنط روزى) خالة زميلتها في المجلة .

أما جيانا فهي ابنة أشهر أطباء باليرم بإيطاليا ، جاءت الى نيويورك للدراسة ثم بقيت بها ٠٠ أنها تحاول أن تقيم علاقات ودية بينها وبين الأمريكيين ولكن الود يأبى أن يتصل ، تصادق زميلتها بابز ولكن الصداقة تظل خطا رفيعا وأهيا لا متانة فيه فبابز مثال للفتاة الأمريكية المشغولة بتحقيق النجاح الشغوفة به مما يجعلها تقيس كل تصرفاتها ، ابتسامتها ، طريقة مشيتها ، ملابسها والحركة والسرعة والجنون فوق ذلك .

وتضيق جيانا بتصرفات بابز فتجبرها على الاستماع إليها ٠٠ ويكشف هذا اللقاء عن مغامرة عاطفية لبابز : كانت بمثابة أول تجربة لها وكان الفتى مضمورا وكانا معا داخل سيارة خاصة أضاعا فيها فترة (رائعة) ثم خرجت بعدها وهي (سيدة) ثم توالى المغامرات .

وهنا تحس جيانا أنها بعيدة عن بابز كل البعد وغريبة عن هذا الجو كل الغربة ، حتى (طنط روزى) المرأة العجوز التى مازالت تمارس شبابها أو بتعبير أدق مازالت تمارس ماضيها ، لا فرق بينها وبين ابنة أختها التى تمارس حاضرها بافطع ما تكون الممارسة . وفيما عدا بابز وخالتها روزى تلتقى جيانا كل يوم بزميلاتها المحبرات بالمجلة وكلهن على شاكلة بابز وروزى ٠٠ فتشعر جيانا فى نهاية الأمر بالسأم والملل والغثيان وتقرر أن تستقيل من المجلة وتعود الى بلدها .

(الذكرى هي الجحيم) : بهذه العبارة تنهى ادموند شارل - رو أول رواية لها فى عالم الأدب ٠٠ وهى رواية تتحدث عن ذكريات الكاتبة وتدور فى فلك كل (رواية أولى) يكتبها صاحبها فتجىء عبارة عن (ترجمة ذاتية) بحيث تتركز قيمتها الحقيقية فى التأثير والانفعال والصدق كنتيجة للتجربة الخاصة فاذا ما انتهت ذكريات الكاتب وانتهت تجاربه أو مخزونه لجأ الى الخارج .

وهنا يواجه طريقتين أحدهما مسدود لا يفضى الى عمل ثان
ذى قيمة والثانى طريق مفتوح يؤدى الى الخلق والابتكار والاجادة .

ولكن القدرة على التعبير والتمكن من استعمال الادوات الفنية
يتبين بأن ادموند تختلف كثيرا عن فرنسواز ساجان مثلا . ادموند
صاحبة (نسيان باليريم) اضعف رواياتها وليست فرنسواز صاحبة
(صباح الخير ايها الحزن) اقوى اعمالها .

جوزيه كابانيس

جائزة رونودو

. ولد كابانيس فى مدينة تولوز عام ١٩٢٢ - ثم درس الفلسفة
وحصل على درجة الدكتوراه فى القانون عن رسالة موضوعها
(التنظيم وسياسة أرسطو) .

كتب كابانيس ٩ روايات جمع ٥ منها فى مجلد واحد تحت
عنوان (العصر الغامض) وهى العصر الغامض (٥٢) الأوبرج
الشهير (٥٣) جوليت (٥٤) الابن (٥٦) زواج المصالح (٥٨) ونال
جائزة النقاد لعام ١٩٦١ عن رواية (بهجة النهار) .

اما الرواية التى نال عنها كابانيس جائزة رونودو فهى رواية
(معركة تولوز) . تقع هذه الرواية فى ١٤٢ صفحة ويومسى
عنوانها لأول وهلة بأنها رواية تاريخية تدور أحداثها حول معركة
حربية وقعت فى مدينة تولوز بفرنسا . تماما كما أوضحت رواية
(قصة فرنسية) لنوريسيه بأنها رواية هى الأخرى تاريخية .

والواقع ان رواية نوريسيه رواية سيكولوجية كرواية ادموند
شارل - رو ورواية كابانيس وكل روايات هذا الجيل الذى لايزال
ينهل من نبع بروسست ، ذلك النبع الذى لا ينضب ولا يجف .

ان كلمة (معركة) جاءت تعبيرا عن معركة الحياة وليس

معركة الحرب فتولوز مدينة حية مليئة بالحركة والحياة ٠٠ الحياة
التي لا تقوم على الصمت والاستكانة ولا تموت بالوقوف والنوم ٠٠
فالضجيج والتنقل والعمل من ضرورات العيش كمسا أن الجهاد
للبقاء ٠

وعلى هذا فان أحداث الرواية عبارة عن وصف للحياة في
تولوز موطن الكاتب وتصوير للناس في هذه المدينة التي تختلف
تماما عن عداها من مدن فرنسا ٠٠ فالجدية والاستقامة والشهامة
صفات يتصف بها مواطنو تولوز يقابلها على الوجه الآخر صفات
أخرى من صميم الداريسيين : الدعاية والتهمك والسخرية ٠

وقد علق النقاد على هذه الرواية بعبارة واحدة تقول : رائعة
ولكنها قصيرة ، رائعة لأنها قطعة حية من حياة الاقاليم الوانها
تذكرنا ببليزك وانغامها تحيلنا الى بروس ٠٠ وقصيرة لأن روايات
كابانيس كانت كلها طويلة ٠

وفي حديث أجرته معه (النوفيل ليتيرير) اجاب كابانيس ردا
على بعض الأسئلة قائلا :

— ان الصداقة التي يتكلمون عنها في الكتب كثيرا لا وجود
لها في رواياتي ، فالعلاقات العاطفية تشغل مكانا اكبر من الصداقة
٠٠ انا لا احب غير الرجال الذين يعلمونني شيئا والنساء اللاتي
اتعلم منهن شيئا ٠٠

— الايمان موجود لكني اتمتع بايمان خاص بي ٠
— أن أرى وجهي أمر لا يهم ولكن لكي أعرف نفسي لابد أن
احبها أولا ٠

— اننا نذهب الى الموت ولكننا نحفظ بأسرارنا ٠
— ان روعة الوجود تنطوي على شيء آخر غير الذي نراه
ولكننا لا نستطيع أن نرى هذا الشيء الآخر ٠

— ان الشهرة التى تمنحها لى هذه الجائزة لا يمكنها ان تغير
منى شيئاً •

هؤلاء هم الثلاثة الذين يمثلون أهم من فازوا بأهم ثلاث جوائز
للرواية فى فرنسا مؤخراً •• ولعلنا قد أدركنا الى أى مدى يتفق
الفائزون فى الرؤية •• فالقالب الروائى والمادة الاجتماعية والمعالجة
السيكولوجية والطابع المبيوجرافى والدراسة المقارنة بين القديم
والجديد وبين العاصمة والضواحي فى البلد نفسه أو بين مدينتين
فى بلدين مختلفين ثم التناول الهادف لموضوعات الحياة المعاصرة •

كل هذا وكثير غيره يؤكد حقيقة على جانب كبير من الأهمية
وهى أن أبناء الجيل الواحد فى البلد الواحد وربما فى العالم كله
يشعرون بشعور واحد ويصدرون عن مفهوم واحد ويقودهم فكر
واحد هو (الفكر المعاصر) •

الأدب الزنجى ٠٠ الفكرة والحركة

وتحذ نستعرض قضية الزنوجة والأدب الإفريقى المعاصر ،
قد نضطر للعودة الى الجذور ، ولكننا سنتناول بالتأكيد أصل هذه
الحركة وروادها الأوائى حتى نصل فى نهاية المطاف الى مفهوم
لازال حتى الآن غائما فى ذهن الدارس وغائبا فى ذهن المتلقى .

الفكرة الإفريقية ٠٠ والحركة الزنجية

فى باريس ، التقى ايميه سيزير وليوبولد سنجور ٠٠ ولخص
سيزير هذا اللقاء فى هذه العبارة « عندما تعرفت الى سـنـجـور
احسست لأول مرة أننى إفريقى » ٠٠

وهكذا توحدت الفكرة الزنجية والفكرة الإفريقية بعد أن تأكد
لجميع أنهما لصيقتان ، فعار الماضى والخوف فى الحاضر واليأس
من المستقبل ، كلها عوامل مشتركة بين الفكرتين .

انضم راماس وديوب بعد ذلك الى سيزير وسنجور ، وأخذ
الأربعة يعملون على تضيق هوة الخلاف والكراهية التى اتسعت
فى فرنسا بين زنوج امريكا وزنوج إفريقيا ، فاصدروا مجلة محدودة
باسم « الكاتب الأسود » توحىد بين جميع السود على اختلاف
جنسياتهم ، فيكفى الأسود أنه ليس أبيض اللون حتى ينضم الى هذه
الحركة التى تعد بحق « صحوة الضمير الأسود » والتى دعوت فى
صميمها الى الاشتراكية سلوكا ومذهبا .

يقول سيزير فى إحدى قصائده :

جميل وخير وشرعى .

ولعل ديوانه « كراسية العودة الى الوطن » هو الذى يلخص تجربته وثورته ، ففيه ومن خلاله يطلق سيزير صرخته الزنجية ، وهى أول صيحة فى طريق هذه الحركة التى نادت بالتححر الوطنى والقومى ، بدءا من تحرير الأرض حتى تحرير الروح ، ايدانا بميلاد انسان أسود جديد ، كما نادت بازدياء واحتقار كل من يقتدى بالثقافة الاوروبية دون أن يهتم بثقافته القومية . ومع هذا لم تفرق الحركة بين الانسان والانسان أو بين الأسود والابيض . فالانسان لا يستجيع الا أن يكون فى النهاية انسانا .

ولعل كلمة سارتر التى يقول فيها « ان الزنجية هى أورفيوس الذى يبحث عن أوريديس » لعل هذه الكلمة قد راقى لأصحاب الحركة ففقدت امامهم طريق البحث عن وسيلة لاصلاح حال امهم وخلق شخصية جديدة لشعوبهم .

فاذا كان سنجور وداماس وديوب وسيزير هم الذين قادوا معا الحركة الزنجية من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٤٠ ، فان شعراء وكتابا آخرين قد تأثروا بهم وفى مقدمتهم بول ينجر ورونيه ديتر وادوار جليسان وبولان جواشان .

على أن هؤلاء جميعا بما فيهم الرواد الأربعة الأول لم يعرفوا الزنجية أفضل مما عرفها سارتر بطريقة هيكلية عندما قال انها « الانسان - فى عالم - أسود » .

ذلك ان القيم الحضارية المطلقة كانت وستظل هى العقل بالنسبة للروح والدين بالنسبة للإيمان والطبيعة بالنسبة للفن والمادة بالنسبة للعمل والحياة بالنسبة للانسان . الانسان الأسود الذى التقى بالحضارة الغربية منذ القرن الخامس عشر ، فأوحت اليه هذه الحضارة الغربية نفسها بفكرة « الحركة الزنجية » بعد أن انتزع من

افريقيا مايقرب من ١٥٠ مليون أسود خلال أربعة قرون ، بينما لم تلغ العبودية الا منذ مائة عام فقط ٠٠ بعدها استطاع الانسان الأسود رفع رأسه ، ولسوف يرفعها عاليا، محتفظا بالعبقريّة الزنجرية التي قوامها ضمير القيم التاريخيّة وشعور الانسان الأسود بالمعظمة ٠

ويعود سارتر فيقول في مقدمته لارفيوس الأسود : ان الجنس لا دخل له بالرؤية الزنجرية ، فالانسان الأسود لا يتكون من روح أو جوهر يختلفان عن روح وجوهر سائر الناس ٠٠ فهو يعيش وسط المبيض ، يعمل ويفكر مثلهم ، يتكلم لغتهم ويضيف الى تراثهم أدبا وفنا ٠

ثم يشرح معرفا الزنجرية على أنها « طريق محدد في الحياة وسلوك خاص وسط عالم مختلف ومغاير ٠٠ وهى اختيار مفروض ومفروض فى الوقت نفسه ٠٠ ذلك أن « الزنجرية » اذا كانت ميراثا فهى ليست حضارة ، وعلى الزوج أو السود أن يستبقوا هذا الميراث وعليهم أيضا أن يحولوا هذا التراث الى حضارة لها معناها وقيمتها وسط الحضارات الأخرى ٠٠ فالانسان الذى لا يملك ان يغير جلده فلا أقل من ان يمنحه البريق والحياة ، سواء اكان هذا الجلد أبيض، أم أحمر أم أصفر أم أسود ٠

ليويولد سيدار سنجور

أما الشاعر الرئيس سنجور ، فقد أصدر الى جانب مسرحيته القصيرة الوحيدة عددا من دواوين الشعر يزيد عن ستة دواوين وعددا آخر من كتب النقد والدراسات الأدبية والسياسية ٠٠ وقد نال سنجور درجة الدكتوراه من جامعة السوربون قبل أن يصبح أول.

رئيس لجمهورية السنغال •

يقول فى احدى قصائده المعروفة باسم « نيويورك » :

اصغى الى النبض البعيد الصادر من قلبك المديجورى وايقاح
دم الطبول الافريقية

اسمعى : دعى الدم الأسود يانيويورك يجرى فى دمك •

عساه يزيل الصدا عن مفاصلك الصلبة •

عساه يكسب جسورك ليونة الزواحف •

وعندئذ يعود ما كان فى اقدم العصور ، وتحقق الوحدة •

ويحل الوفاق بين الأسد والثور والشجرة •

ويرتبط الفكر بالعمل والاذن بالقلب والاشارة بالمعنى •

وتعج انهيارك بتماسيح ذات رائحة وجنيات عيونهن سراب •

وعندئذ لا حاجة بك الى ابتكار جنيات البحر •

يكفيك ان تنفجر عينك على قوس قزح الذى يظهر فى ابريل •

وان تعيرى اذنك ، فوق كل الاذان ، الى الرب الذى خلق

السماء •

والارض فى ستة ايام من ضحكة ساكسوفون •

واستراح فى اليوم السابع الراحة العظمى التى استراحها

الزئوج •

القصة الافريقية القصيرة

لن يتسع المجال لتقديم نماذج من القصة القصيرة كنوع من الأدب المتطور فى افريقيا ، ولذلك سنكتفى بذكر أهم أسماء كتاب القصة القصيرة وعناوين مجموعاتهم التى قد توحى لنا بالمضمون :

جيمس نجوجى (الريح) كاتب كينسى فاز بجائزة لوتس الادبية عام ١٩٧٣ •

بازيل فبراير (الطرد) كاتب من جنوب افريقيا ، لقي مصرعه فى عمليات قوات روديسيا وجنوب افريقيا عام ١٩٦٧ •

ايفوا تيوذورا سدرلاند (الحياة الجديدة) شاعرة وكاتبة غانية ، ولها محاولات فى كتابة قصص الاطفال تعمل استاذة للأدب بجامعة غانا •

بلوكى عود يزانى (الرحيل) كاتب من جنوب افريقيا ، يكتب الى جانب القصة القصيرة ، التمثيليات الازاعية باذاعة لندن •

لنيرى بتيروز (الغربة) كاتب من جامبيا ، يكتب البرامج الازاعية الى جانب القصة بعد ان هجر الطب الى الأدب •

وهكذا تتضح قضية الزوجية وان لم تتضح تماما خريطة الأدب الافريقى المعاصر فما هذه المحاولة الا اشارات لاضاءة الطريق •

فصل فى الجحيم ٠٠ والشاعر رامبو

يقول « بيير ديكس » ان تاريخ الأدب شأنه شأن التاريخ العام يتكون من وقائع مختلفة على الدارس أو المؤرخ أن يجمعها ويخرج منها فى النهاية بفكرة واضحة ومفهوم محدد .

ويرى « ديكس » أن الخطأ كل الخطأ يتمثل فيمن يعتقدون أن القرن التاسع عشر قد تم اكتشافه ولا يمكن الخروج منه بجديد . وهذا ليس صحيحا على الأقل فيما يتعلق بكبار الكتاب . فهذا ناقد مثل « فيكتور ديبل ليتو » استطاع أن يكتشف معطيات جديدة وخطية فى حياة ونشأة « سنتدال » . وهذا ناقد آخر مثل « رونييه فونقيال » وضع كتابا عن « جوليان سوريل » كشف فيه عن جوانب لم تكن معروفة عن الرجل من قبل ، ونصل الى « عبيط العائلة » الكتاب الذى وضعه سارتر عن لويير وحالة أبطاله النفسية ثم اتفاقهما وحالة المجتمع الفرنسى فى عصر فلويير وهى حالة القلق والتوتر التى كان يعانى منها فلويير وبطلته الشهيرة مدام بوفارى .

ولعل هذا ما فعله « انطوان آدم » عندما تناول بالدراسة والتحليل تكوين « رامبو » النفسى والاجتماعى من خلال علاقته الخاصة بالشاعر « فرلين » وعلاقته العامة بأسرته ووطنه والعالم من حوله .

وهكذا يعتمد « بيير ديكس » فى دراسته لرامبو على ماسبق أن كتبه « انطوان آدم » عن الشاعر الشهير الشاب .

أخيرا رامبو الحقيقى :

تحت هذا العنوان يورد « ديكس » أسماء الكتب التى صدرت

لرامبو وتلك التي صدرت عنه ٠٠ أما أهم ما صدر له فهو ديوان « فصل في الجحيم » وأهم ما صدر عنه فهو كتاب « إيتيامبل » ، « أسطورة رامبو » .

ولقد كانت حياة رامبو الكاملة تجمع بين شعره ووجوده وتتسم بالحيوية ، لقد أحدث وجوده ، كما يقول «رونيه شار» ضجيجا عاليا . حتى أن واحدا مثل « انطوان آدم » قال القوة المتوحشة الكامنة فيه تتضمن شيئا غير انساني « ٠٠ أما الضجيج الذي أحدثه رامبو فهو في حياته الخاصة أكثر مما في شعره ، وإن كان قد شارك لوثر بيامون وما لارميه الشعاعين الكبيرين في اكتشاف نوع جديد من الكتابة الحديثة أثرت اللغة الفرنسية التي يعد رامبو واحدا من كبار كتابها .

وخير دليل على ذلك قصيدته المسماة « أحرف » والتي تتحدث عن الأحرف المتحركة ٠٠ فهو يعطى كل حرف منها لونا خاصا ٠٠ فالألف (A) تعبر عن اللون الأسود ، والـ (B) تعبر عن الأبيض والـ (C) تعبر عن الأحمر ، والـ (D) تعبر عن الأخضر والـ (E) تعبر عن الأزرق .

ويعد أربيعين عاما من ترجمة الألوان الى أحرف كما رأينا عند رامبو ، نجد بيكاسو وبرك في محاولتهما ترجمة الأحرف الى اللون في لوحاتهما .

فصل في الجحيم :

وينتقل « بيير ديكس » بعد ذلك الى ديوان « رامبو » المعروف « فصل في الجحيم » والذي صدر عام ١٨٧٣ ٠٠ فيرى أن الديوان كان بمثابة قصة حياة رامبو أو ترجمة ذاتية له . ولكن بالشعر ، على غرار الأدباء الذين يصورون حياتهم عن طريق رواية أو مسرحية

أو يوميات أو اعترافات أو حتى بالتاريخ .. ولعلها أول مرة في تاريخ الأدب نجد هذا النوع من الترجمة الذاتية وقد نطق بالشعر .

أما الروح التي سادت اعترافات رامبو أو قصة حياته في ديوانه « فصل في الجحيم » فلم تكن « الواقعية » كما يحدث عادة في مثل هذا المجال من الأدب ، ولكنها كانت « الرومانسية » بل واغراقه في الرومانسية حتى يمكن أن يقال أنه « ترك قلبه عاريا » .

ومع هذا وجد البعض أن هذا القلب قد هبط إلى مستوى القدم ، وذلك في قصيدة « عذراء مجنونة » التي تناجى الزوج الجهنمي في اعتراف من أعماق الجحيم :

أوه ، يا زوجي الخالد

ياسيدي

علك لا ترفض اعتراف

اتعس خادماتك

أنا ضائعة

أنا ثملسة

أنا مدنسنة

يالها من حياة !

هذه القصيدة هي إحدى قصائد ديوان « فصل في الجحيم » وهي تعد إحدى الوثائق الهامة التي تؤكد علاقة رامبو بفرلين وتكشف عن طبيعة تلك العلاقة المشوهة غير الطبيعية .

ولقد ظل عدد من الدراسين يتصورون أن « العذراء المجنونة » تمثل فرلين بينما « الزوج الجهنمي » يمثل رامبو وهذا خطأ .. لأن العكس هو الصحيح .

أما على المستوى السيكولوجى فيرى « انطوان آدم » ويتفق معه « بيير ديكس » فى أن « العذراء المجنونة » هى روح رامبو وهذا مفهوم لا يجب أن نحصره فى الصراع التقليدى بين الفضيلة والرذيلة أو الخير والشر الذى ينبع من الدين أو الأخلاق الدينية . بقدر ما يجب أن نرجعه الى شخصية رامبو المزدوجة أو المتناقضة والتى تسعى فى علم النفس الحديث بالشيذوفرانيا أى الانفصام فى الشخصية .

وهناك علامات دقيقة توضح من خلال علاقة رامبو بفرلين تلك الحقيقة . منها الأزمة التى فاجأت رامبو وعرفت بأزمة بروكسل ، ومنها العيار النارى الذى أطلقه فرلين على رامبو وأصابه فى قدمه .

ولعلنا نجد فى تاريخ الأدب حالة مشابهة لحالة رامبو ولكن بلا شذوذ وهى حالة فيكتور هوجو الذى كان يكتب فى أحيان كثيرة نصوصا تحمل معنيين المعنى الرمضى والمعنى الحقيقى أو الواقعى ، تماما كما تحمل قصيدة « عذراء مجنونة » وغيرها من قصائد ديوان « فصل فى الجحيم » .

ونصل الى الخطابات المتبادلة بين رامبو وفرلين فنقع على رسالة بعث بها فرلين الى رامبو فى مايو ١٨٧٢ يخبره فيها عن عودته . وهى عودة مزدوجة بمعنى العودة من سفر والعودة الى العلاقة بعد فترة انقطاع . ثم نقع على عدة رسائل من رامبو الى فرلين أهمها رسالة بعث بها رامبو الى فرلين فى ٤ يوليو ١٨٧٣ . وقد ظهر فيها رامبو كالفأر الجبان يتوسل الى القط المتوحش . ورسالة فى اليوم التالى جاء فيها :

« وبعد ذلك عد بذاكرتك الى ما كنت عليه قبل أن تتعرف الى »
بعدها بخمسة أيام فقط وقعت أزمة بروكسل التى انتهت
بالعيار النارى الذى أطلقه فرلين على رامبو .

ولكن أغلب الظن أن ديوان « فصل في الجحيم » كان قد كتب بكل قصائده قبل أزمة بروكسل .

فاذا استطعنا أن نستخلص من هذا الديوان الى جانب الرسائل المتبادلة شيئا كثيرا وله قيمة عن حياة رامبو فان « اعترافات طفل من نهاية القرن » التي كتبها رامبو هي خير سبيل الى تلك الحياة الصاخبة الثرية أدبيا وعلى مستوى البشر ، .

ولعلنا هنا نستعيد مرة أخرى عبارة « رونييه شار » كاملة والتي تقول « من يأت الى الحياة دون أن يحدث ضجيجا لا يستحق أن يطلق عليه لقب انسان » .

التحضر :

ونشير الى « نثر رامبو » الذي لم يلتفت اليه كثيرا على اعتبار أن رامبو قد عرف كواحد من المع شعراء عصره بل ومن المع شعراء التاريخ . فقد كان أيضا واحدا من أكبر مجددي اللغة الفرنسية فيما يتعلق « بالنثر الحديث » وخاصة من خلال رسائله الى فرلين . ومع هذا فان رامبو نفسه كان دائما ما يعتقد أن الشاعر والشاعر وحده هو مرشد الانسانية في مسيرتها نحو المستقبل .

ولهذا كان دائما ما يتشدد بالشعر ويحبه ويريد أن يكون شاعرا . ففي رسالة بعث بها وهو في السابعة عشرة من عمره الى ايزمبارد يقول :

« أنا غاضب . وسوف أحقق ما لم تحققه أنت في الشعر . . . أريد أن أكون شاعرا وسأظل أعمل حتى أكون عرافا . . »
فالشعر عنده هو الرؤية والمعرفة المبكرة واللذة الصانقة ، وقد أحس رامبو وهو بعد في سن الصبا أنه انسان غير عادي وأنه قادر على الرؤية من خلال الشعر .

المكتبي :

وهكذا استطاع رامبو أن يقنع نفسه بتلك النظرية الشعرية وعمل جامدا منذ البداية على أن يقطع شوطا طويلا لكي يحققها عمليا . وان لم يمض له الزمن عمرا أكثر من ٣٤ عاما حتى يزداد انتاجه .

على أن الكثيرين من نقاد الشعر ومؤرخي الأدب ومنهم « انطوان آدم » و « بيير ديكس » قد وجدوا أن رامبو كان قد انتهى كشاعر بعد ديوانه العظيم « فصل في الجحيم » وعاش بعده سنوات لم يفعل فيها شيئا ولو عاش أكثر من ٣٤ عاما لما قدم شيئا يذكر للأدب . أنه شاعر الديوان الواحد مثل آلان فورنييه الذي مات في سن الثلاثين وكان كاتب الرواية الوحيدة باسم « مون الكبير » والامثلة على ذلك قليلة .

بين لوليتا وأدا ٠٠ والروائي نابوكوف

بعد « لوليتا » ظهرت رواية جديدة للكاتب الروسى الأصل
الامريكى الجنسية « فلاديمير نابوكوف » .

أما رواية نابوكوف الجديدة فاسمها « أدا » وقد بدأت فى
أحداث ضجة قد لا تقل فى المستقبل القريب عن تلك الضجة التى
أحدثتها « لوليتا » خاصة بعد أن بدأت السينما الأمريكية فى إنتاجها
لتعرض على شاشة السينما .

ونابوكوف له ٢٩ رواية ومع هذا لم تعرف غير روايته المعروفة
لوليتا لمجرد أنها قدمت على شاشة السينما ٠٠ والواقع أن رواياته
الأخرى التى لم تنل حظا من الشهرة ، لاتقل قيمة عن « لوليتا » وربما
فاقتها فكرا وفنا ٠٠

ونابوكوف يقيم فى الوقت الحالى بسويسرا هو وزوجته «فيرا»
التي لا تفارقه على الإطلاق .

والغريب أن نابوكوف الروسى تلقى دراسته بجامعة كمبريدج
الانجليزية ثم أقام بالولايات المتحدة الأمريكية ونشر بها معظم
أعماله ٠٠ ثم اقترب من فرنسا فى فترات متقطعة أثناء إقامته
بسويسرا ٠٠ ولهذا فهو يجيد الروسية والانجليزية والفرنسية
ولهذا أيضا يشرف بنفسه على ترجمة أعماله الى اللغات المختلفة ٠٠
وقد ظل أربع سنوات كاملة مشغولا بترجمة روايته « أدا » الى اللغة
الفرنسية ، فى الوقت الذى تولى ابنه مغنى الاوبرا المقيم بايطاليا ،
ترجمة الرواية الى الإيطالية ٠٠ ولم يصدر نابوكوف الرواية باللغة

الانجليزية الا بعد أن انتهى من الاشراف على ترجمتها الى هذه اللغات الأخرى .

ويعترف نابوكوف بأنه تأثر بجيمس جويس وخاصة بروايته المعروفة « اوليس » كما تأثر بكافكا وخاصة بروايته الشهيرة « التحول » . وتأثر نابوكوف أيضا ببروست وخاصة بالجزء الأول من مسلسله الروائية « فى البحث عن الزمن الضائع » .

ويشير نابوكوف الى اثنين من الروائيين المعاصرين مبدىا اعجابه بما قدماه من جديد فى عالم الرواية . مواطنه الروسى « سولجنستين » الذى ترك الاتحاد السوفيتى مثله و « روب - جرييه » الفرنسى الذى لم يترك فرنسا . ومن بين الروائيين السوفييت المعاصرين لا ينكر نابوكوف اعجابه وتقديره للكاتب الشاب « سيرين » الذى ظل يكتب على مدى عشرين عاما ثم كف عن الكتابة تماما . . . والذى لا يعرفه الكثيرون حتى الآن أن « سيرين » هو نفسه نابوكوف ، وأن نابوكوف ظل يكتب بهذا الاسم المستعار الذى يعنى « العصفور الشاعرى المتعدد الألوان » الى أن غادر الاتحاد السوفيتى وتجنس بالجنسية الأمريكية .

ورغم أن نابوكوف قد ترك الاتحاد السوفيتى منذ فترة طويلة الا ان « الانسيكلوبيديا الكبرى » التى تصدر كل عام فى الاتحاد السوفيتى لم تذكر نابوكوف الا مؤخرا ولكنها ذكرت بالتقدير والاحترام . . .

وقد ارتفعت نسبة القراء السوفييت لأدب نابوكوف فى السنوات الاخيرة ، حتى أن رسائل كثيرة بدأت تصل الى نابوكوف بانتظام . . . وتؤكد هذه الرسائل أن أصحابها يقرؤن أعمال اديبهم المفضل بالانجليزية كلما تعذر صدور هذه الأعمال باللغة الروسية ، أما الطبعات الانجليزية فلا تباع بالمكتبات ولا تعترف بها السلطات

ولكنها تباع فى السوق السوداء خفية كما تقرا خفية ٠٠ ولعل
الاضاع تكون قد تغيرت بعد ثورة جورباتشوف السلمية الاخيرة ٠

اما رواية « آدا » فتصور أحداثها فى مدينة خيالية لا يستطيع
القارئ أن يحدد ملامحها ، هل هى الاتحاد السوفيتى أم أنها
الولايات المتحدة الامريكية ٠٠ وفى هذه المدينة تعيش أسرة يتخفى
أفرادها وراء « ستار ذهبي » خوفا من الاختلاط وحرصا على سلامة
السلالة وأصل النوع ٠٠

وبهذا المعنى تصبح « آدا » بطله الرواية وأبرز أعضاء هذه
الاسرة الخيالية الغريبة ، عبارة عن ترجمة ذاتية لحياة الكاتب أو
هى قصة حياته الموزعة بين روسيا الوطن وأمريكا الوطن ٠

والرواية تجربة جديدة فى ادب نابوكوف كله وهى تتناول
حديثا لموضوع قد يبدو قديما ومستهلکا ، الا أنه الموضوع المطروح
أبدا والذي لا يجد تحليلا نهائيا أو حلا أخيرا حتى الآن ٠

وزعم أن الرواية تعد « ترجمة ذاتية » الا أن نابوكوف يود لو
أن القارئ استطاع أن يفصل بين حياة الكاتب وأدبه ، حتى يستطيع
أن يستمتع بالأدب دون أن يشغل باله بالحياة ، حياة الكاتب ٠٠ وقد
يفيد هذا الربط بين حياة الكاتب وأدبه الدارسين والنقاد وحدهم ٠٠

تلك هى رغبة نابوكوف ولكنها الرغبة المستحيلة ، وخاصة
فى العصر الحديث عصر القارئ الذى يعرف كل شئ عن كاتبيه
المفضل ، أو أى كاتب يقرأ له ٠٠

الصلاة الجنائزية ٠٠ والشاعرة أخماتوفا

فى سبتمبر عام ١٩٦٦ انتهت حياة أنا اخماتوفا أشهر شاعرة فى الاتحاد السوفيتى ، ان تعد أحد الأربعة شعراء السوفييت العظام وهم ماندلستام وزفيتايفا وباسترناك .

وقصة حياة أنا اخماتوفا قصة حياة فنانة مرهفة الشعور ، عاشت أثناء تلك الفترة العصبية فى تاريخ وطنها وهى سنوات الثورة السوفيتية ، وتأثرت بها ٠٠ ومثل غيرها من بعض الفنانين فكرت فى الهجرة ، لكنها تراجعت ٠٠

وفى « الصلاة الجنائزية » وهى من أهم ما كتبت ، عبرت أنا عن فخرها بأنها لم تلجأ الى أراض غريبة ٠٠ فقد فضلت بالرغم من كل شئ أن تمكث فى وطنها تمارس التجربة كاملة مع شعبها .

وإذا كان موقف أنا اخماتوفا فى بداية الثورة السوفيتية ، موقف استهجان واستنكار للحكم الثورى ، الا أنها بعد ذلك - وكما يتضح من أشعارها - اعترفت بالانجازات الهامة التى حققها شعبها بعد الثورة ٠٠ ومن ناحية أخرى بدأ المسئولون يهتمون بها وبأشعارها بالرغم من رفضهم المستمر حتى الآن الافراج عن قصيدتها الشهيرة « الصلاة الجنائزية » .

وحينما توفت اخماتوفا ، نعته الصحف السوفيتية بحزن بالغ ، بل أن اتحاد الكتاب الذى رفضها وطردها من عضويته عام ١٩٤٦ ، الذى عاد وانتخبها لرئاسته بعد ذلك قال عنها : « لقد كانت شاعرة روسية سوفيتية مرموقة ٠٠ كرست حياتها بكل نبيل

لخدمة الشعر الروسى وخدمة وطنها « ٠٠ وأشار اتحاد الكتاب الى اشعارها العاطفية والوطنية باعتبارها اعمالا فنية مجيدة ، وأوضح اهمية ترجماتها لأعمال الشعراء غير الروسيين والشعراء الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ، والشعراء الأجانب ٠٠ وفى نهاية المقال قالوا : « ان اسمها واعمالها الخلاقة سوف تعيش بيننا الى الأبد » ٠

وقال عنها كونستاننتين بوستوفسكى : « انها ملكة الشعر، امرأة مثيرة للعجاب ، انسانة شجاعة والحق ان أخماتوفا تمثل عصرا بأكمله من عصور الشعر الروسى » ٠

ويفخر الكس سيركوف أحد أعضاء اتحاد الكتاب الذى طرد أخماتوفا عام ١٩٤٦ بأنه كان أول من فك الحصار المضروب حول اشعارها ، ونشر قبل وفاتها بأربع سنوات بعض اشعارها المتنوعة من النشر ٠٠ والواقع انه فى تلك السنوات كانت الصحف والمجلات السوفيتية تتسابق فى نشر اشعارها ٠٠ وفى ميونيخ نشرت مجموعة اعمالها المرفوض نشرها فى الاتحاد السوفيتى ومنها « الصلاة الجنائزية » ، ولكن بدون معرفة أو موافقة أخماتوفا ٠٠ ولقد ثارت أخماتوفا حينما رفضت السلطات أن تنشر لها « الصلاة الجنائزية » فقالت ان مجموعة تلك الأشعار سوف تنشر حتما فى يوم ما ، تماما مثل رواية باسترنك « دكتور زيفاجو » ٠

ولكى نتعرف على أخماتوفا ينبغى أن نتعرف أولا على اشعارها ٠٠ فحول ماذا تدور اشعار أخماتوفا ؟

انها تدور حول الحب والحرب والثورة والوطن والشعب ٠٠ اما كيف تدور ، فهذا هو المهم وهذا ما سنحاول معرفته ٠

ظهر أول ديوان للشاعرة السوفيتية عام ١٩١٢ تحت عنوان « المساء » ثم تلاه ديوان آخر بعد عامين وكان عنوانه « السبحة »

وما إن كان يصدر لها ديوان حتى يحفظه الناس عن ظهر قلب، ذلك أن قارئهم أشعار (أنا) لا يجد صعوبة في حفظها ، بل يجد نفسه قد حفظها بالرغم منه ، فهي تنفذ كالهواء داخل الرئتين وكالايمان داخل القلب .

ان قصائد (أنا) المتحدة فيما بينها تتتابع كأنها فقرات في قصيدة واحدة تتحدث عن قصة واحدة هي دائما قصة الشاعر الخاصة . فكل كلمة وكل صورة انما ترتبط عندها بذكرى محددة بحيث لا تستخدم الا للتعبير عن هذه الذكرى دون غيرها من الذكريات . . . الذكريات العديدة في حياة أنا العريضة .

غير أن الشاعر لا تثقل على قارئها بالدخول في تفاصيل تجاربها ، فهي تكتفي بالتلميحات والرموز والايحاءات والاشارات بدلا من الاسترسال فيما لا يهم القارئ . . . وهي لا تلجأ الى الأسلوب المباشر وأن كانت تميل دائما الى المصارحة كما أنها لا تتحدث عن المشاعر والعواطف لذاتها بقدر ما تتحدث عن تأثيرها في العالم الخارجي .

ان أهم ما يميز أشعار (أنا) انها لا تركز على الكلمات المجردة أو الكلاشيهات فهي تقوم أساسا على اللغة اليومية لا اللغة الخاصة والأسلوب الدارج لا الأسلوب الغنائي . هذه الأشعار تتحدث دائما بأسلوب المخاطب ، كما أن الأفعال دائما ما تكون في الزمن الحاضر أو الماضي البسيط مما يدل على أن التعبير يولد مع التجربة أو يتبعها بفترة قليلة . فالشاعرة سريعة التأثير ، سريعة الانفعال لا تختزن تجاربها لذا فإنها تعبر عنها فور حدوثها .

و (أنا) تكتب عن الحب ، تكتب عنه في وقت السلم لتقول انه أمن الحياة وسعادتها ، وتكتب عنه في وقت الحرب لتقول انه الخالص .

ويقول بوريس فيلييوف فى مقدمته لأعمالها المرفوضة والتي نشرت بميونخ ان ليننجراد تتردد كثيرا فى قبول اشعارها ، والواقع ان بترسبورج وليست موسكو هى التى تمثل التقاليد الروسية القومية الحقيقية . ان بترسبورج قد احتضنت وأوحت الى شعراء روسيا العظام امثال بوشكين وجوجل ودوستوفسكى واتنسكى وبلوك واخماتوفا باعمالهم الخلاقة . وايضا الموسيقيين امثال جليнка ، وماسورجسكى ، وكورساكوف ، وبروكوفيف . ثم يقول ان شعر اخماتوفا ينتمى ويتأثر بالاعمال النثرية الروسية فى مجال القصة فى القرن التاسع عشر . وقال عنها الشاعر اوسيب ماندلسنتام : « كان من الممكن جدا عدم وجود اخماتوفا ، اذا لم توجد أنا كارلينا لتولستوى واعمال تورجينيف ودوستوفسكى وليسكوف الى حد ما ، » .

ولكن جليب ستروف كاتب مقدمة النسخة الانجليزية للأشعار ذاتها يختلف مع فيلييوف ، اذ يقول انه يظهر فى أعمال اخماتوفا وزوجها نيكولا جاميليف التأثير الواضح بأشعار بوشكين .

ومعظم اشعار (أنا) عن الحب كتبتها قبل الثورة السوفيتية . وقد ثار عليها الهجوم عام ١٩٤٦ من أجل تلك الأشعار . ومنها قول احد الكتاب عنها « انها مزيج من الراهبة والعاهرة » . فكل اشعارها تدور حول مولد الحب ، مباحج الحب ، ذكريات الحب ، الشعور بالندم ، رغم انها تنبض جميعا بالكبرياء . والحب عند اخماتوفا تجربة متنوعة ضرورية ومثيرة . تجربة تملزج فيها الاحتياجات العقلية بدرجة أقل من الاحتياجات الجسدية . ويبدو ان معظم تلك الأشعار العاطفية تصور تجربة الحب والحياة مع زوجها جاميليف .

ثلاثة أشياء يحبها فى هذا العالم
أغلبية النساء

الطاووس الأبيض
خرائط أمريكا البالية
لكنه لا يحب بكاء الاطفال
ولا مربى التوت
ولا مستيريا النساء
وأنا ٠٠ أنا ٠٠ زوجته ٠

وقبل ثورة أكتوبر ١٩١٧ نشرت اخماتوفا مجموعة اشعار عن روسيا تعكس قلقها من الحرب العالمية الأولى ٠٠ وفى ذلك الوقت كانت بترسيورج قد أصبحت مدينة المجد ٠٠ وكانت اخماتوفا ترجو فى اشعارها أن تتحول تلك السحب السوداء المخيمة على سماء روسيا الحزينة الى سحب بيضاء من أشعة المجد ٠

واستمرت اخماتوفا تكتب بعد الثورة ٠٠ ولكنها لم تنشر اشعارا جديدة فى الفترة من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٤٠ ٠٠ أما « الصلاة الجنائزية » اشهر اشعارها فقد بدأتها فى ثلاثينيات هذا القرن ٠٠ وهى تصور مدى فزعها من حكم ستالين وحزنها على ابنها الوحيد الذى قبض عليه ٠٠ وجميع تلك التصورات والمفاهيم مصاغة فى تراجيديا انسانية مريرة ٠

وقامت الحرب العالمية الثانية ٠٠ فتلاشت تجاربها الشخصية وأحزانها الصغيرة فى مأسى تلك الحرب الجماعية ٠٠ فى هذه الفترة كتبت اخماتوفا قصيدتين رائعتين يتضح فيهما الشعور بمأساة باريس التى احتلها الالمان والهجوم على لندن ٠

الآن يكتب الزمن بيده القاسية ٠
مسرحية شكسبير الرابعة والعشرين ٠
أما اشعارها الأخرى عن بلدها ، فقد كانت تنبض بالمعطف

والحب لقتلى لينتجراد ، والاطفال الأبرياء المشردين ، والثورة على
عملية الغزو المجنونة التى اكتسحت لينتجراد والتى حققت النصر فى
النهاية .. تماما كما يبدو فى قصيدة لها اسمتها « الشجاعة » •

وفى طشقند حيث كانت تعيش أخماتوفا كتبت فى ذكرى الطفل
اللينتجرادى الصغير فالياسميروف الذى قتل أثناء الحصار تقول :

احضر لى حفنة من مياه نيفا النقية •

لاغسل أثار الدماء •

من على رأسك الذهبية •

وبعد سنوات طويلة من الصمت ، تكلمت أخماتوفا .. وتعتبر
السنوات العشر الأخيرة من حياتها ذات أهمية خاصة حيث كتبت
مجموعة اشعار رائعة وهى فى سن الخامسة والستين .. وقد كتب
البروفيسور ستروف عن هذه الظاهرة يقول « انها مولد ثان للشاعرة
الكبيرة » •

وتصور تلك الأشعار ذكرياتها عن الماضى .. وعن المدن التى
عاشت فيها طفولتها وشبابها .. وبين طيات سطورها تظهر الحكمة
والجدية التى أصبحت تنظر بهما ، وبهما وحدهما الى الحياة ،
حياتها وحياة كل الناس .. كما تغلب على هذه الأشعار أفكارها
عن الموت وخاصة فى قصيدة « عدت الشاعر » فكانما كانت
أنا أخماتوفا تتنبأ بالقدر ، قدرها هى ، هى « أنا أخماتوفا » شاعرة
« الصلاة الجنائزية » •

الفراس المهزوم ٠٠ والروائية ساجان

(الفراس المهزوم) للكاتبة الفرنسية الشهيرة (فرنسسواز ساجان) تعد أول رواية كلاسيكية لها بل و (راسينية) نسبة الى الكاتب المسرحي (جان راسين) الذي تعشقه ساجان ٠٠ فهي في هذه الرواية تلتزم بوحدة المكان - غرفة نوم - ووحدة الحدث - علاقة حب جافة ومنتهية - ووحدة الزمان - اربع وعشرون ساعة - وشخصيات محدودة - البطل والبطله واثنان يمثلان الكورس او الشخصيات المساعدة ٠

ورغم هذه الكلاسيكية المتعمدة هان الرواية تسبح في جو رومانسى مثل ذلك الجو الاثير لذي (ساجان) وشخصياتها التي تمثل نماذج متنوعة تبدأ من سن المراهقة حتى سن الشيخوخة ٠

البطل (ادوار) مؤلف مسرحى شاب يصادفه النجاح في أول عمل يقدمه للمسرح الطليعى ، يلتقى ببطله الفرقة (بياتريس) التي تكبره سنا ، فهي في الخامسة والثلاثين أو الأربعين ، ولكنها جميلة وفاتنة ومشهورة أيضا في السينما والتلفزيون ٠٠

يقع (ادوار) في حب (بياتريس) ويتعلق بها الى درجسة الجنون ، بينما تحاول هي - أن تشفق عليه ٠

ومرة اخيرة تحاول (بياتريس) ان تكشف له بموضوعية لم تعهدها ، عن وضعها الاجتماعى وعن سلوكها الشخصى وعن ضماياها من الرجال الذين تستبدلهم كما تستبدل ثيابها ٠٠ ولكن الفتى لا يتراجع لأنه قد أحس بانها تبادل الحب ولذلك تخشى عليه من نفسها وتفضله على (انايتها) و (اللامبالاة) التي عرفت بها واصبحت من صفاتها المميزة ٠

وامام هذا الاصرار تستسلم له المرأة وتسلمه نفسها دون أن تسلمه روحها بغير غش ولا خداع فهي صريحة وواضحة .

ويدرك (ادوار) ان الحب ليس هو الجنس فحسب ولكنه كائن حتى يعيش بالموقف والثقة والاحترام والمودة وكل ما يمكن أن يضحى به كل طرف في سبيل سعادة الطرف الآخر .

وهكذا ينهزم الفراش أو هكذا تنتهي رواية (الفراش المهزوم)
•• انها قصة امرأة تبحث عن الرغبة وربما الحب ورجل يبحث عن الحب والسعادة معا ••

فرواية (الفراش المهزوم) شاتها شأن كل روايات (ساجان) توحى بأنها (عيادة طبيب نقسى لعلاج الام القلوب المحطمة سواء بالدواء المسكن أو بالعمليات الجراحية) فهي (طبية قلب) أو (جراحة قلب) تعنى بالطبقة الوسطى ، تلك الطبقة التى لا يزعجها ولا يضح مضجعها غير (الحب) ، بلا مشاكل اجتماعية أو انسانية أخرى •

وقد تعيب هذه النظرة الضيقة للحياة قيمة (ساجان) كروائية وادبية معاصرة ، ولكن ما يغفلها هذا العيب هو صدقها فى التعبير عن طبقتها المترفة ومجتمعها المغلق ، حتى أن بعض النقاد وأساتذة علم الاجتماع وجدوا فى أعمالها (تاريخا) أو (تاريخا) لمجتمع وطبقة فى عصر أو نصف عصر من خلال أكثر من جيل فى أكثر من مرحلة اجتماعية وسياسية واقتصادية وحضارية ، فى فرنسا أولا ثم فى أوروبا بصفة عامة •

ويخطئ من يظن أو يحكم بأن (فرنسواز سساجان) هسى (صباح الخير ايها الجرن) دون أن تكون (قصر فى السويد) أو (هل تحبين برامز) أو (دقات قلب) أو (الفراش المهزوم) على سبيل المثال •

ايضاحات وشلالات ٠٠ ميشيل بوتور

« ايضاحات » هو عنوان آخر ديوان للقصاص الشاعر الفرنسي المعاصر « ميشيل بوتور » والجديد فى هذا الديوان أن كاتبه يعتبره مجموعة مقالات ٠٠ كما أن الناقد « رودر » فى كتابه « ميشيل بوتور أو كتاب المستقبل » لا يميز فى تعرضه لهذا الديوان بين القصة والشعر مما يجعلنا نعتقد أن كتاب المستقبل سيضربون عرض الحائط بالتصنيف المعتاد لفنون الادب التقليدية من قصة وشعر ومقال ومسرحية .

وقراءة هذا الديوان - القصة - يجب أن تتم داخل اطار انتاج « بوتور » العام وبالتالي داخل اطار الشعر الحديث الذى يحاول عن طريق البنيان الملائم ليككل القصيدة ومطابقة هذا البنيان للموضوع واللهجة العامة للنص ، أن يضى على نص شعري واحد عدة معان مختلفة ٠ وتلك القصة ٠٠ أو تلك المجموعة من القصائد : عبارة عن بيانات توضيحية لصور غنائية مكانها محدود ببياض ٠٠ وتلك الصور ٠٠ كانت يوما ما توضيحا لنصوص أدبية كانت بدورها ناقصة ولكنها وضعت أصلا لتوضيح تلك الصور ٠٠ ويلعب الترتيب الطباعي والتلاعب بالفراغ الأبيض والطباعة السوداء دورا هاما فى تفهم النص ، فنحن نجد فى الصفحات الأربع الاولى من الكتاب وهى المخصصة لتوضيح منظر محطة « سان لازار » المكتظة بالمسافرين فى الصباح الباكر ٠٠ نجد أن النصوص متفرقة ٠٠ تفصلها فراغات بيضاء ومطبوعة بطرق مختلفة ٠٠ بعضها باتجاه أفقى ٠٠ وبعضها باتجاه رأسى ٠٠ وبدون تسلسل ، ولا سبيل لتجميعها الا بتشابه

الاتجاهات وحروف الطباعة • والنصوص ذات رنين موسيقى •
ووقع وقفزات انطباعية خاصة بالشعر وحده • ولا يمكن لأى وصف
أن يحل محل قراءة الكتاب فى طبعته الاصلية • فهو يعتمد اعتمادا
كليا على التنظيم الطبوغرافى •

ان آخر مؤلفات الكاتب الفرنسى الشهير ميشيل بيتور ، وهى
« ١٠٠٠ ر ١٠٨٦ لقرءاء فى الثانية » ، ليست رواية بالمعنى المعروف
كما أنها ليست كتابا بالمعنى المتفق عليه • ولكنها رؤيا ، أن صح
هذا التعبير • فبيتور لا يكتب سطورا ولكنه يملأ مساحات •

ولقد شرح طريقته هذه كما طرح قضية الواقعية ، فى روايته
الاولى « جدول ١ » . فتناول القضية تناول العالم الطبيعى الذى
يلاحظ الظواهر الطبيعية ويدونها بعين الخبير الباحث فى هذا الفرع
أو ذاك من فروع العلم •

ولما كان الضمير الانسانى لا يمكن أن يطابق الوجود الحسى
فان قيام واقعية مطلقة أمر مستحيل لا فيما يظهره الضمير ولا فيما
تظهره المادة • فبيتور على عكس كتاب الرواية الجديدة فى فرنسا ،
يرى « أن الانسان لا يمكنه أن ينفصل بسهولة عن الزمن انفصالا
تاماً » ، لأنه اذا كان الزمن حقيقة موجودة فى العالم تماما كوجود
الانسان فان تلك الحقيقة لا تملك أن تتصرف وحدها وتدور فى المطلق
كما كان يعتقد كتاب الرواية الكلاسيكية •

لذلك نجد أن بيتور وهو يجعل بطل الرواية الجديدة يقاوم تلك
الحقيقة ، التى هى الزمن ، ويحاربها حتى يصصرها انما يدعى
الانسان ، فى واقع الأمر ، الى اعادة بنائها من جديد • وبتعبير
آخر فان الزمن ليست له قيمة فى حد ذاته ولكنه يستمد قيمته من
التصاقه المباشر بالحياة واحتكاكه الدائم بالواقع البشرى •

لهذا كله يجد بيتور نفسه مضطرا الى البحث عن أدوات

تصلح للتعبير عن هذا التداخل العجيب بين « الوجود والزمن »
فمرة يلجأ الى الاطار التاريخى على طريقة فوكنر ، ومرة يلتمس
الدقة فى التحليل حتى يصور الاشخاص والأشياء والمواقف تصويرا
يكاد يكون فوتوغرافيا ، ومرة يكتشف طريقة التجميع التشكيلى
ويضعها فى اطار تركيبى خالص .

وفى « جدول ٢ » تشرح بيتور نظريته هذه باستفاضة أكثر
وتعمق أكبر ، وأخذ يحطم التقاليد التى بليت بحيث شمل تحليله
طريقة الكتابة والقراءة ، فبدلا من أن يبقى على طريقة القراءة
المعروفة من الشمال الى اليمين ومن أعلى الى أسفل نجده يدعو
القارئ لأن يدور بعينه فى الصفحة رأسيا وافقيا وأحيانا بميل شديد
كذلك فانه يجعل القارئ ينتقل بعينه مرة بين الهوامش ومرة أخرى
بين الحواشى وهكذا . . . فعنده أن الكتاب لا يفترق فى شىء عن
الكاتدرائية أو المدينة الساهرة التى يزورها المرء لأول مرة . . .
فهو ينبهر بها ويحاول أن يتعرف عليها فى « جولة عين » وهو لهذا
لا يركز على شىء ولا يلتبس الدقة والترتيب فى معرفة أى شىء . .
انها رؤى ولحات .

و « ١٠٠٠ ر ٨١٠ لتر ماء فى الثانية » ماهى الا صورة عامة
من شلالات نياجرا ، تعطى فكرة عما تعنيه تلك الشلالات فى حد
ذاتها وعما تعنيه بالنسبة للآخرين ، فطولها وعمقها وارتفاعها
ومساقطها وتاريخها ومعناها الانسانى والأسطورى والشاعرى اكلها
أشياء يذكرها بيتور فى كتابه ، أحيانا بطريقة موسيقية وأحيانا
بطريقة روائية . . يعرضها عرضا وصفيا كما يعرضها عرضا
دراميا . . ويمتزج كل هذا فى النهاية ليقدّم لنا شعرا خالصا تضيق
فيه ملامح الكتاب ، بمعناه التقليدى ، ويصبح عبارة عن « جولة
فنية » .

ويصف بيتور نياجرا من خلال نظرة شاتوبريان لها ، ذلك

انها كانت بالنسبة للرومانسيين رمزا للطبيعة الصامتة الموحية كما كانت رمزا للطبيعة الثائرة المفزعة ٠٠ أى أنها كانت رمزا للطبيعة التى يقال عنها « أم حنون وقبر موحش » فى وقت واحد .

ويقسم بيتور مؤلفه الى اثنى عشر جزءا خصص كل جزء منه لفصل من فصول السنة فمن سنابل إبريل التى ترمز للزواج الى ضباب ديسمبر الذى يرمز للترمل ٠٠ وهكذا ٠٠ وهذه الاجزاء عبارة عن اثنتى عشرة حركة من الحركات السيمفونية حيث تحكى كل حركة مذهبها قصة واحد من الأفراد أو مجموعة من الناس .

أما نقطة الضعف فى المؤلف فتتجلى فى أنه يضحي بالفرد فى سبيل تقديم المجموع وبالمضمون الانسانى فى سبيل البناء الشكلى أو الزخرفى ٠٠ وهكذا يتحول العمل الأدبى أو الفنى الى باليه أو أوبرا ٠٠ الفرد فيهما ليس أكثر من نموذج خشبى أو قطعة شطرنج يتحرك بلا وعى ولا ارادة .

ولكن بالرغم من نقطة الضعف الخطيرة هذه نجد انفسنا ونحن أمام عمل بيتور الجديد غير قادرين على مطالبته بأكثر مما قدم لنا . يكفيننا أنه اكتشف فن القول والتعبير بطرق مختلفة ٠٠ لأنه وهو يعلمنا كيف نقرأ بطرق متعددة يعدنا فى الوقت نفسه لكى نفكر أيضا بطرق متعددة ، أى يعدنا لأن نكتشف شيئا ما ، فى يوم من الأيام .

وهذا ما يجعل من ميشيل بيتور طليعيا انتقاريا بمعنى أنه يتحسس الطريق فى الظلام ويتخبط من أجل أن يسير فيه الآخرون بلا تخبط ولا ظلام .

الحب فى تاريخ فرنسا ٠٠ جى بریتون

« قصص الحب فى تاريخ فرنسا » كتاب ضخم يتكون من عشرة أجزاء ، كل جزء يقع فى ٣٧٥ صفحة من القطع الصغير ، طبعة « كتاب الجيب » المعروفة والشعبية ٠٠ وتضم الاجزاء العشرة ما لا يقل عن ثلاثين قصة حب اثرت فى تاريخ فرنسا منذ العصور الوسطى وعهد شارلومانى حتى عصر نابليون وقرننا العشرين .
وقد ظهرت أجزاء الكتاب فى باريس تباعا وعلى امتداد عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ تحمل اسما لم يكن معروفا من قبل هو اسم « جى بریتون » .

الحب الذى صنع التاريخ :

تحت هذا العنوان يسرد المؤلف فى الجزء الأول من كتابه احداث قصص الحب التى وقعت فى فرنسا فيما بين عامى ٤٩٢ و ١٤٥٠ م .

أما القصة الاولى فهى عن الملك كلوفيس الذى حكم فرنسا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، فأخذ يبحث عن زوجة لتشغل لقب ملكة فرنسا ٠٠ ووجد الملك الشاب فى كلوتيلد بنت الثامنة عشر اليتيمة نزيلة أحد الأديرة ضالته فتزوج منها ، أحبها وبادلته الحب ٠٠ وكان على أحدهما أن يقنع الآخر بما يؤمن به ٠٠ فالملك وثنى والملكة مسيحية .

وضعت الملكة مولودها الأول ، فأسعته التجمير وغمدته فى

المعبد ، ولم تمض أيام حتى مرض الطفل ومات ٠٠ فأرجع الملك موته الى فكرة تعميده وحزن حزنا شديدا ولكن الملكة وضعت مولودا آخر أسمته ميروفتجيان وقامت بتعميده دون علم الملك ، وبعد أيام مرض الطفل فارتعدت كلوفيس وتوتر الملك ٠٠ وأخذت الملكة تصلى بينما كان الملك مشغولا برد جيش الالامون عن اقليم الالزاس ٠٠ ونجحت صلوات الملكة التى استطاعت أن تقنع الملك بدخول الدين وشكر الله لنجاة ابنه وبلده فى وقت واحد .

الملكة التى خدعت أكثر من غيرها فى التاريخ :

هذا هو عنوان القصة الثانية من قصص الحب فى تاريخ فرنسا ، تلك القصة التى تتناول حياة الملكة نانتيك التى تزوج منها الملك داجوبير بعد قصة حب عاصفة نقلتها من صفوف المغنيات فى الحفلات والمناسبات الى قمة السلطة فى فرنسا .

واعتقدت الملكة انها أصبحت المرأة الوحيدة فى حياة الملك حتى انها كانت تقيم له الحفلات التى تدعو اليها زميلات السابقات من المغنيات ، ولم يترك الملك واحدة منهن الا وأقام معها علاقة دون علم الملكة ٠٠ حتى وضعت الملكة أول مولود لها ، فقرر الملك ان يعزل بها وبالطفل فى منطقة كليبياكوس ، وكانت المرة الأولى التى لم تخدع فيها الملكة .

ولكن الملك الشاب تزوج من ثلاث زوجات دفعة واحدة بالاضافة اليها ، ولكنها بحكمتها لم تدمر حياتها ولا حياة المملكة حتى مات الملك عام ٦٣٨ عن ست وثلاثين عاما فقط وتولت هى الحكم حتى توفيت بعد أربع سنوات من موت الملك .

ويستمر هذا الجزء فى تناول قصص حكام فرنسا وبصفة خاصة شارلومانى الذى تولى الحكم عام ٨٠٠ ميلادية .

ومن قصص شارلومانى أنه تزوج من تسعة و افاد من كل واحدة
منهن فى ادارة شئون الحكم ٠٠ اما الزوجة الاولى فقد كانت تتمتع
بجمال رائع وهى التى انجبت ولى العهد وهى فى الثامنة عشرة ،
فاعطت الملك الامان لحكم سلالته واما الزوجة الثانية فهى ابنة الملك
لومبار التى لعبت دورا أساسيا فى انتهاء الصراع الثقليدى بين
الملكين المتجاورين ٠٠ وانكها توفيت فجأة فى مطلع شبابها ٠٠ بينما
كانت الزوجة الثالثة هى ابنة الكونت الالمانى الذى مات حسرة على
زواج ابنته الشابة من الملك الذى نامز الستين من عمره ، ومع هذا
فقد أدى هذا الزواج الى توطيد العلاقات بين فرنسا والمانيا على مدى
التاريخ .

وهكذا الحال بالنسبة للزوجات الأخريات .

ومن قصص الجزء الثانى قصة المرأة التى وحدث فرنسا
وانجلترا ، انها اليانور ابنة الملك هنرى الثامن التى تزوجت من
الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا ٠٠ وكاد هذا الزواج الا يتم بهطول
الامطار المستمرة على باريس من ليلة ٥ مارس ١٥٣١ حتى ١٥
مارس من العام نفسه ، لولا طلوع الشمس واتعام الزفاف الذى ملا
شوارع باريس .

ويستطرد المؤلف جى بريتون فى سرد قصص الحب المتنوعة
فى تاريخ فرنسا التى اثرت بالتالى فى هذا التاريخ .

فكما عملت امرأة على توحيد فرنسا وانجلترا ، تسببت امرأة
أخرى فى عدااء سياسى بالغ بين البلدين المتجاورين ٠٠ انها
مونيونسييه زوجة هنرى الثالث التى أحبت رجل الدين جاك كليمون
٠٠ وقبل أن ينفذ الملك حكم الاعدام فى هذا الرجل الذى اغرى
زوجته ، يتقدم اكليمون من الملك ليطلب عفوه ولكنه يغافله ويطعنه
بالسكين فى صدره فيريده قتيلا ، وتقع الازمة السياسية بين البلدين
بعد ان تولت فرنسا تنفيذ حكم العدالة فى القس المعتدى .

ونعبر الاجزاء الأخرى المليئة بقصص الحب المتنوعة فى هذا الكتاب الضخم الثرى ، لنصل الى الجزء الثامن والمخصص تقريبا لغامرات نابليون قائد فرنسا الشهير .

ومن قصص نابليون العاطفية علاقته الحميمة بمارى تيريز ابنة التاسعة عشرة البالغة الجمال والتي كان يفضل قضاء الوقت معها حتى ولو على حساب الاشراف على تنظيم الدولة وتصريف امورها على الرغم من حبه الشديد للتنظيم والادارة والتخطيط .

كما كانت مارى تيريز تشغل الامبراطور حتى وهو بعيد عنها فى مهمة سياسية او حرية بالرسائل العاطفية الملونة والمعطرة . . . وخاصة تلك الرسالة الحارة التى انبأته فيها بوضعها لمولودهما الاول ، فترك كل شئ وعاد اليها ليقول كلمة شهيرة له « تركت الامبراطورية لأعود الى الامباطورة » .

ويصور المؤرخون الصدام الفرنسى الروسى الذى وقع عام ١٨١٢ على أنه صدام سياسى فى المقام الأول ، الا ان المقربين من البلاط الامبراطورى يؤكدون ان سبب هذا الصدام امرأة . . . هذه المرأة هى دائما مارى لويز التى بزواجها من نابليون منعت زواجه المعد من شقيقة القيصر الصغرى ، الأمر الذى أدى الى صدام شخصى بين الامبراطور والقيصر انتهى الى صدام عسكرى أو حرب بين البلدين الكبيرين .

ومع هذا ، مع كل هذا لم تظل مارى لويز وفية للقائد العظيم فبرغم تأثرها البالغ بموت زوجها الامبراطور فى التاسع عشر من يونيو عام ١٩٢١ تاريخ اعلان النيا لأن موته كان فى الخامس من مايو على صخرة سانت هيلين ، الا انها اقامت علاقة غير طبيعية وسابقة لانقضاء فترة الحداد وهى ثلاثة شهور مع نيجر أحد القادة المقربين فى جيش نابليون وفى مكتبه الاستشارى .

وكان نابليون قد أوصى بتسليم زوجته ماري لويژ « قلبه » بعد الموت اعزازا لها وحبا ولكنها كانت قد أحبت غيره هرفضت هذه الذكرى النادرة وتلك القطعة الحية الميتة من جسم القائد العظيم والمخدوع معا ، فقط من امرأة .

وهكذا يصور الكتاب كيف أن الحب أو قصص الحب لعبت دورا هاما وأساسيا في تاريخ فرنسا منذ العصور الوسطى وحتى قرننا العشرين ، وإن لم يتسع المجال لذكر نماذج أخرى كفيلا بالقاء الضوء متبعاً وكاملاً على تلك الرؤية الغربية للتاريخ وصانعي التاريخ كما التقطها المؤلف الفرنسي البارع جى بريتون والذي دخل بدراساته هذه التاريخ .

كتب أخرى . . للمؤلف

- مهاجر بريسبان - مسرحية جورج شحادة دار المعارف ١٩٦٩
- الآلة الجهنمية - مسرحية جان كوكتر - الانجلو ١٩٦٩
- انفعالات - قصص ناتالى ساروت - هيئة الكتاب ١٩٧١
- دقائق المسرح - دراسات ونقد تطبيقي - هيئة الكتاب ١٩٧٣
- ليلة المقتلة - مسرحية خوزيه ترييانا - هيئة الكتاب ١٩٨٠
- كهف الحكيم - دراسة عن أهل الكهف - دار المعارف ١٩٨٠
- شباب هذا العصر - رؤى ودراسات غربية - المركز الجامعي ١٩٨٠
- صرخات فوق المسرح - رؤى ودراسات غربية - دار المعارف ١٩٨٠
- جرثيكا ١٠ أزمة العصر - رؤى ودراسات غربية - دار المعارف ١٩٨١
- سينما نعم ١٠ سينما لا - رؤى ودراسات غربية - هيئة الكتاب ١٩٨٢
- دون كيشوت - مسرحية ايف جامياك - هيئة الكتاب ١٩٨٦
- الجسيم - رواية هنري باربوس - هيئة الكتاب ١٩٨٦

- نبض العصر - دراسات ونقد تطبيقي - كتاب المواهب ١٩٨٦ .
- فصل فى الكونغو - مسرحية ايميه سيزير - هيئة الكتاب ١٩٨٧ .
- ليلة القدر - رواية طاهر بن جلون - هيئة الكتاب ١٩٨٨ .
- فمم ٠٠ عربية وغربية - حوارات وندوات - الشركة العربية
١٩٨٨ .

● تصدر :

- الوان العصر - دراسات تشكيلية واشعار
- عصر الشك - دراسة لنواتلى ساروت
- المضيقة الحسناء - مسرحية كارلو جولدوني
- رسائل من مصر - نينيه والثورة العرابية
- هؤلاء المفكرون - دراسات فلسفية

المحتوى

٥	مقدمة
٧	شخصيات عربية :
٩	العقاد ٠٠ ابن اسوان العملاق
١٦	طه حسين - من جنوب الوادى
١٩	د ٠ هيكل ٠٠ وجمعيته الثقافية
٢١	الحكيم ٠٠ فى ميلاده الخامس والثمانين
٢٤	السباعى ٠٠ والخلص بالحب
٢٦	ثروت اباظة ٠٠ الانسان والالتزام
٢٩	أنيس منصور ٠٠ كانت له أيام
٣١	عبد الصبور ٠٠ فارس احلامنا الجديدة
٣٥	بعلبكي ٠٠ تحترق فى قلب بيروت
٣٨	ببتي ٠٠ مستشرقة فى باريس
٤١	شخصيات غربية :
٤٣	مالرو ٠٠ وقلبه النايض
٤٦	بومبيدو ٠٠ مفكرا وناقدا

٤٨	• • • • •	أراجون •• شاعر الحب والمقاومة
٥٢	• • • • •	باربوس •• بين الجحيم والنار
٥٧	• • • • •	ساروت •• فى القاهرة
٦١	• • • • •	بورشييه •• وعيد ميلادهما المئوى
٦٣	• • • • •	ماييه •• الروائية الأواشى فى كندا
٦٥	• • • • •	اجاثا •• امرأة تساعدنا الحظ
٦٨	• • • • •	بيلو •• الفائز بجائزة نوبل
٧٧	• • • • •	ماركيث •• بعد فوزه بجائزة نوبل
٨١	• • • • •	دراسات عربية :
٨٣	• • • • •	الرواية الأكتوبرية •• وأدب ما بعد النص
٩٢	• • • • •	نماذج مقارنة •• من أجيال القصة
٩٩	• • • • •	الرواية المغربية •• من أين وإلى أين
١١٨	• • • • •	أدباء وفنانون •• من السودان
١٢٢	• • • • •	هل هى ثورة •• فى عالم الكتب
١٢٦	• • • • •	وهل تنقذون •• الكتاب ياكتاب
١٢٧	• • • • •	أزمة الترجمة •• وروح العصر
١٢٩	• • • • •	قضية الترجمة •• وروح النص
١٣١	• • • • •	الندوات الأدبية •• الحركة والركود
١٣٣	• • • • •	وجهة نظر غربية •• فى الأدب العربى

دراسات غربية :	١٣٥
الظواهر الأدبية ٠٠ بعد ضرب هيروشيما	١٣٧
الأدب وعلم النفس ٠٠ ماذا حدث فيهما ؟	١٤٣
الرواية الفرنسية ٠٠ والفائزون بها	١٤٨
الأدب الزنجى ٠٠ والفكرة والحركة	١٥٩
فصل فى الجحيم ٠٠ والشاعر رامبو	١٦٤
بين لوليتا وأدا ٠٠ والروائى نابوكوف	١٧٠
الصلابة الجنائزية ٠٠ والشاعرة أخماتوفا	١٧٣
ايضاحات وشلالات ٠٠ ميشل بيتور	١٨١
الحب فى تاريخ فرنسا ٠ جى بریتون	١٨٥

رقم الايداع ٨٨/٥٨٨٨

الترقيم الدولى ٨ - ١٩٢٨ - ٠١ - ٩٧٧



الهيئة المصرية العامة للكتاب

لما كان هذا الكتاب ، يضم تصنيفين وأربعة أقسام حول الشخصيات والدراسات العربية والغربية ، برز الإنسان وبرزت الكلمة . . الإنسان - أو الكاتب - الذى يقول كلمة - أو كلمته - ليصبح الإثنين فى واحد أو ليصبح الإنسان كلمة . .

والكتاب يطرح قضايا أدبية وفكرية مشارة أو كانت فى حاجة إلى أن تثار . . وهى قضايا حيوية وهامة ، ملحة وحاجلة ، تنتظر الحلول التى لايد أن تمجىء من المثقفين أنفسهم ، حتى تستقيم الأمور وتستقر الأوضاع ، وتتاح الفرصة كاملة للإنسان لكى يقول كلمته ، وللكلمة لكى تلمب دورها الفعال فى الناس وفى الحياة . .